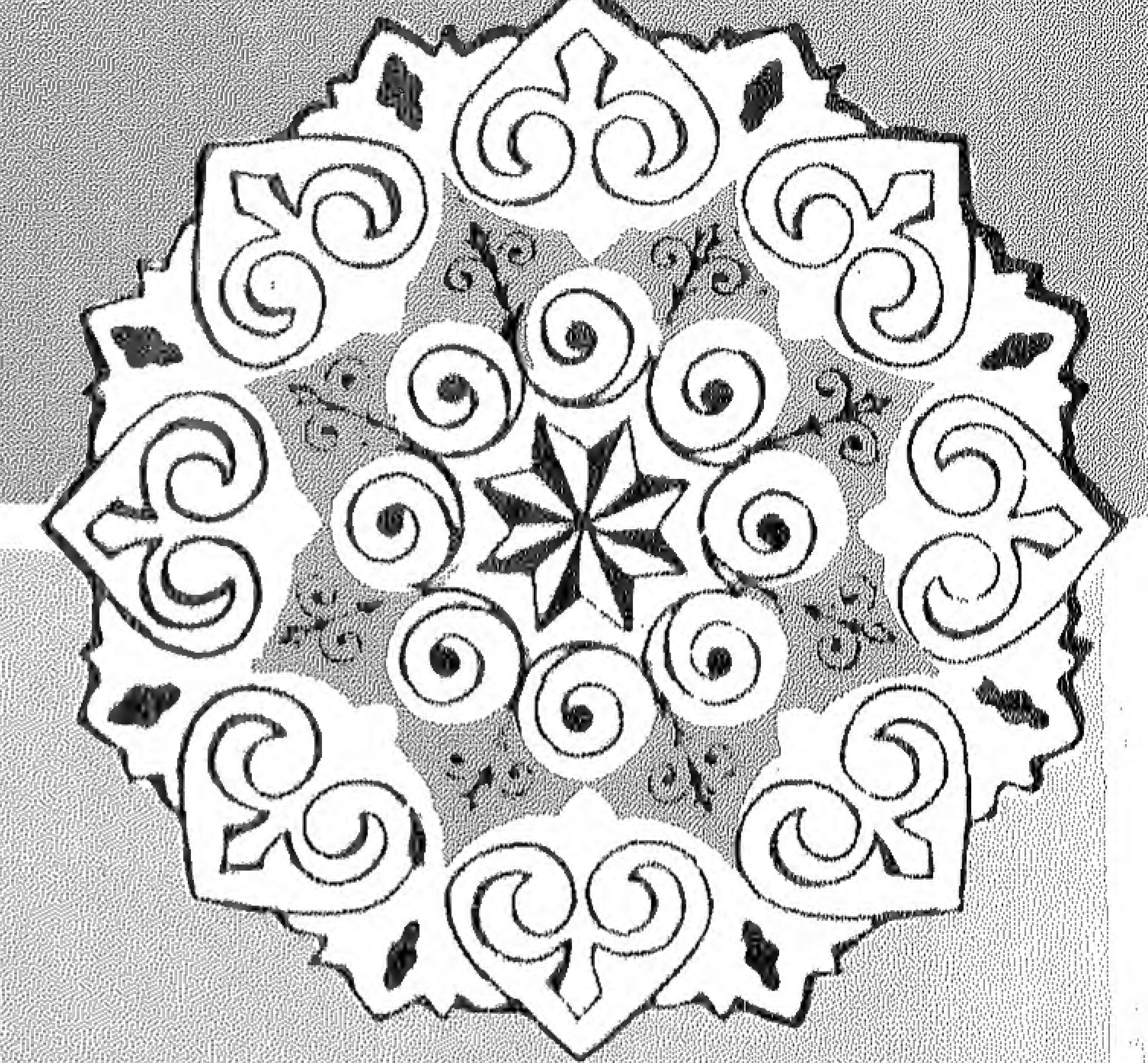
جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

العدد [١٥]



دنيا وآخرة

الدكتور فتحى مرعى

القسم الثانى

القاهرة
١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
مركز السيرة والسنة

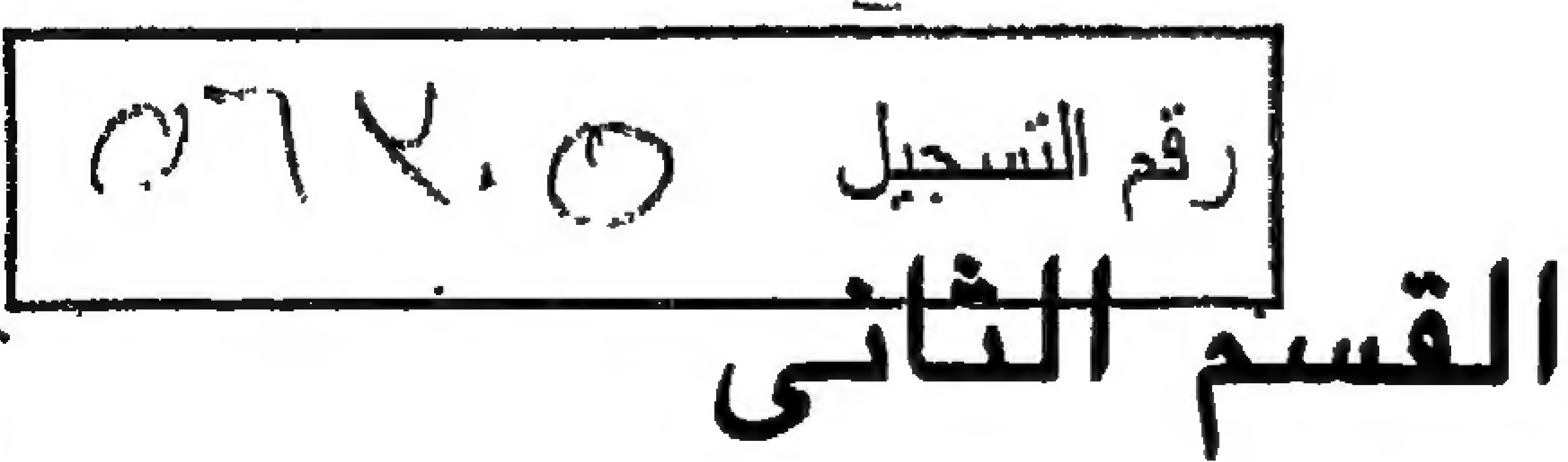
دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

العدد [١٥]

دنيا وآخرة

الدكتور
فتحي





القسم الثانى

١٥ شوال ١٤١٧ هـ فبراير ١٩٩٧ م

يشرف على إصدارها

الدكتور محمود حمدى زقزوق

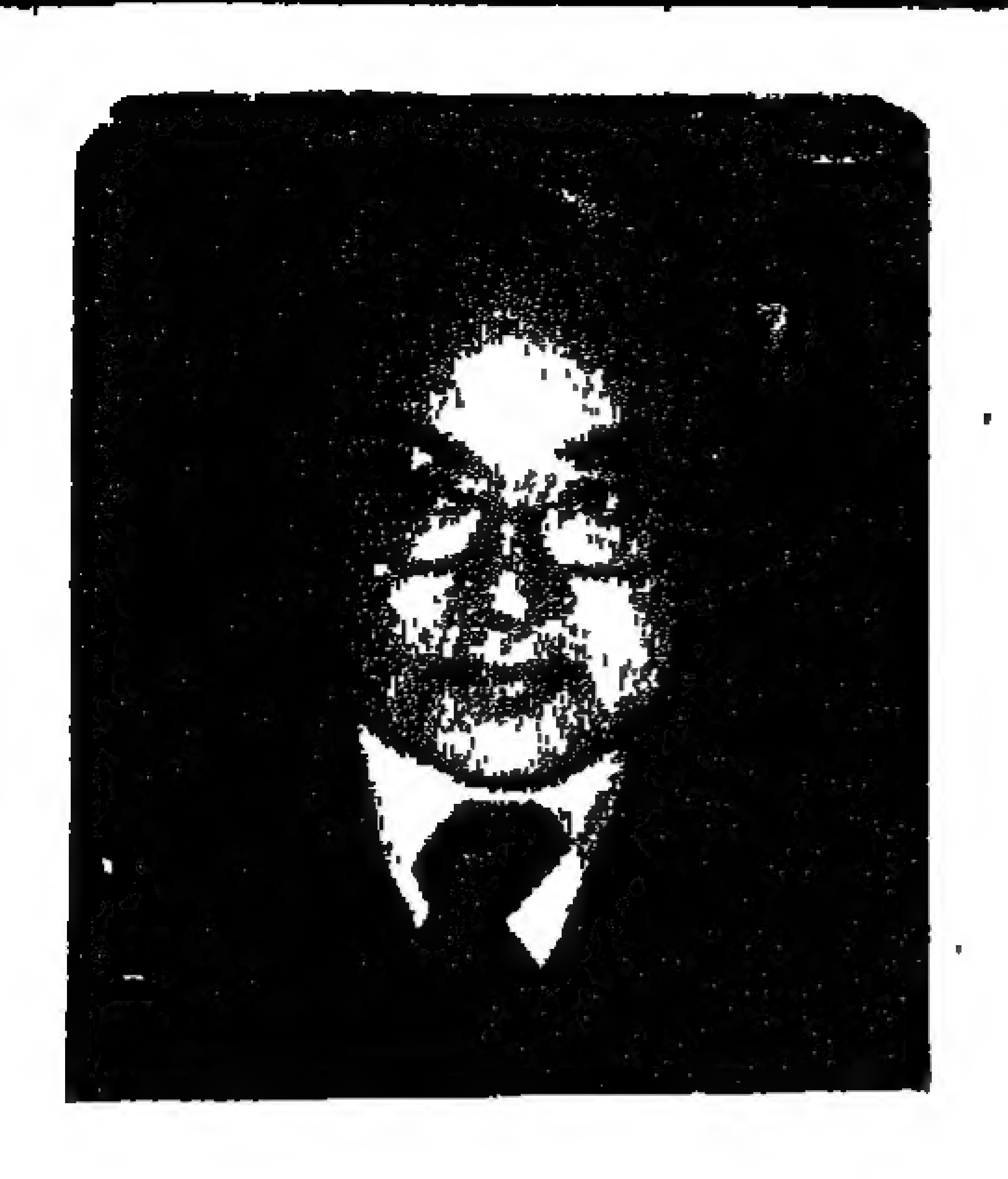
وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى

أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

استدراك

ظهر القسم الأول من هذا الكتاب بعنوان «دُنيا وأُخرة» وهذا خطأ مطبعى والصواب هو:« دُنْيا وآخرة »



تعريف بالمؤلف

* حائز علي الدكتوراه في «القانون الدولي الإنسانى المطبق فى النزاعات المسلحة» من جامعة هومبلت بألمانيا.

* الحق للعمل بالبعثات الدبلوماسية المصرية في كل من كرانشى، جنيف، برلين، نيويورك، نيودلهي، جدة.

* اشترك في العديد من المؤتمرات الدولية في مجال نزع السلاح، ومجال الدعوة الإسلامية.

* عضو ومقرر لجنة تنسيق العمل الإسلامى المشترك فى مجال الدعوة، وهى اللجنة المختصة بالدعوة الإسلامية في منظمة المؤتمر الإسلامى، وهى منظمة دولية تتخذ من جدة - بالمملكة العربية السعودية - مقرا لها، وتضم في عضويتها ٥٤ دولة إسلامية من بينها جمهورية مصر العربية.

* عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية.

نداء إلى أئمة وخطباء المساجد

هذا نداء إلى أئمة وخطباء المساجد ، وهم حملة كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وهم الدعاة إلى الله ، الذين نذروا أنفسهم للدعوة ، استجابة لأمر الله :

« وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » (١) .

فهذا توجيه صريح من المولى عز وجل للمؤمنين ألا ينفروا جميعا للقتال ، بل لابد أن تبقى طائفة منهم لتتفقه فى الدين ، وليكون منها الوعاظ الذين يبصرون الناس بدينهم ، ويفتونهم فيما استشكل عليهم من أموره .. وهكذا يعلمنا الله أن الوعظ ليس مما يمارسه أى شخص ، بل ينبغى على من يتصدر للوعظ أو الفتوى أو يقف على المنبر فى المسجد خطيبا ، أن يكون فقيها عالما بأمور دينه ، أى مؤهلا تأهيلا معترفا به فى هذا المجال ، فهى - اذن - مهمة لها رجالها الذين نذروا أنفسهم للعلم ، والعلماء ورثة الأنبياء :

« قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين »(٢) .

ولقد علمنا أن الله لا يجعل شيئا الا لحكمة .. والله سبحانه حض المسلمين ، بل أمرهم بترك أعمالهم ومصالحهم حينما

---

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) يوسف : ١٠٨ .

ينادى المؤذن إلى صلاة الجمعة بوجه خاص .. لماذا ؟ لأن فيها خطبة الجمعة ، وهى على درجة بالغة من الأهمية ، لأنها الوسيلة المثلى لتلقى الناس لما يصلح أمور دينهم ودنياهم معا .. ويتجدد هذا اللقاء أسبوعا بعد أسبوع ، ليكون للناس تذكرة .. فالناس يحتاجون إلى التذكرة بشكل منتظم ، ولهذا جاء الأمر الالهى بأن نترك كل شىء فى أيدينا ونذهب إلى المساجد لصلاة الجمعة ، لنسمع ونتذكر ونتعظ :

« يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » (١).

فهل هذه الرسالة الجليلة تؤدى على النحو المطلوب ؟؟ هذا هو السؤال الذى عكفت عليه لجنة تنسيق العمل الإسلامى المشترك فى مجال الدعوة ، وهى اللجنة المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامى التى ينضوى فى عضويتها ٥٤ دولة إسلامية ، ووجدت اللجنة أن هناك الكثير مما يمكن - بل ينبغى - العمل على تصويبه ، حتى تؤدى هذه الرسالة بما يحقق النفع والخير العميم للمسلمين فى كافة بقاع الأرض .. فوضعت استراتيجية العمل الإسلامى المشترك والتى تضمنت تحت بند " **وسائل الدعوة الإسلامية** " عدة توصيات من بينها : الاهتمام بصلاة الجمعة وخطبتها بما يؤكد قيم الإسلام وأخلاقياته ، وحقوق

---

(١) الجمعة ٩.

المسلم وواجباته نحو نفسه وأهله ومجتمعه وولاة أموره ، واتخاذ الوسائل الكفيلة برفع كفاءة الأداء لخطباء المساجد .. وبغض النظر عما قد يتخذ فى هذا الصدد ، أود أن نتصارح بأن ما فى مجتمعاتنا الآن من خروج على السلوكيات الحميدة ، والأنانية ، وانعدام الضمير فى تعامل كثير من الناس مع بعضهم البعض ، وتفشى خراب الذمم ، واعتبار التمسك بالقيم نوعا من العبط !! إن ذلك كله يرجع فى جانب منه على الأقل إلى قصور فى رسالة المسجد إلى الناس ، وأنها لا تصل إليهم كما ينبغى ، وأسجل هنا بعض أوجه القصور من واقع المناقشات التى دارت فى اللجنة ، لعل السادة الأئمة وخطباء المساجد الفضلاء يتداركونها ، والدين النصيحة ، ولا مجاملة على حساب الحق :

* يبدوا أن بعض الأئمة يتحدثون بلا تركيز على موضوع محدد ، فلا يخرج المصلى بشىء ..

* لجوء بعض الخطباء إلى الإسراف فى تخويف الناس من العذاب ، بدءا بعذاب القبر وانتهاء بعذاب النار ، وأن النار هى مصيركل من يفعل كذا وكذا حتى من الأمورالتى تعد من اللمم ، أى صغائر الذنوب .. فيؤدى ذلك إلى تقنيط الناس من رحمة الله ، وينطبع فى أذهانهم أنهم معذبون لا محالة ، طالما أنهم لا يستطيعون تفادى هذه الذنوب كلها .. فيزين لهم الشيطان أن ينخلعوا من الدين وكل ما يمت إليه بصلة ، طالما أنه لا فائدة ..

وهذا عكس ما يريده الله عز وجل ، وهو أعلم بعباده ، إذ قال تعالى :

« فاتقوا الله ما استطعتم »(١).

أى قدر استطاعتكم ، وأن الله يتغاضى عن صغائر الذنوب :

« الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم .. » (٢).

وحتى كبائر الذنوب يغفرها الله إذا تاب العبد وأناب :

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم »(٣).

* واتساقا مع ما تقدم ، ينبغى أن يهتم خطباء المساجد بعدم تيئيس الناس من المغفرة .. وبدلا من الامعان فى الترهيب ، حرى بهم أن يرغبوا الناس فى دخول الجنة ، بوصف ما فيها من نعيم مقيم ، فيحرصون عليها ، ويتجنبون ما يبعدهم عنها أو يحرمهم منها .. فلابد من التوازن بين الترهيب والترغيب ، فمن الناس من يردعهم الترهيب ،ومنهم من يجتذبهم الترغيب ..

* ان عددامن خطباء المساجد يركزون كل التركيزعلى العبادات ، وينسون المعاملات بين الناس ، فيستقر فى الأذهان أن أداء الفرائض هى كل المطلوب ، بينما المعاملات لا تقل أهمية عن أداء الفرائض :

---

(١) التغابن : ١٦ . (٢) النجم : ٣٢ . (٣) الزمر : ٥٣ .

« ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير »(١) .

مع أن الكثرة الكاثرة من الناس أصبحت لا تعير الفضائل كالصدق والأمانة والتفانى فى العمل وغيرها التفاتا .. يستبيحون أموال الناس وحقوقهم ، ولا يقيمون أى وزن للآخرين .. يقلقون راحتهم بالليل والنهار ، ويتصرفون وكأن ليس هناك غيرهم لهم مثل حقوقهم ، كل يفعل ما بدا له دون اعتبار للضرر الذى سيلحق بالاخرين ، أو المعاناة التى يتسببون لهم فيها .. مع أن إلحاق الأذى بالناس إثم كبير :

« والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا »(٢) .

حتى الصدقة لا يتقبلها الله من المتصدق إذا صاحبها ايذاء لمشاعر من يأخذها :

« يأيها الذين أمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى »(٣) .

فياليت أئمة المساجد يولون هذه الموضوعات الاهتمام الجدير بها حتى يكون التعامل بين الناس بالخير لا بالشر ، بالرحمة لا بالقسوة ، بالحب لا بالكراهية والضغينة .

* إن بعض أئمة المساجد يطيلون خطبة الجمعة بلا داع ، وينسون أن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ، ومن ناحية أخرى ، أن هناك

---

(١) البقرة : ٢٣٧ . (٢) الأحزاب : ٥٨ . (٣) البقرة : ٢٦٤ .

من المصلين من يعنتهم ذلك أشد العنت من ناحية المحافظة على وضوئهم ، حتى أن بعض الناس يذهبون للصلاة قرب نهاية الخطبة وقبيل إقامة الصلاة مباشرة لهذا السبب .. ولكى لا يحدث ذلك ، فعلى الإمام ألا يطيل الخطبة ، وإمام المسجد يستطيع أن يوفى أى موضوع حقه فى زمن لا يتعدى ثلث الساعة ، بل عليه ألا يطيل القراءة فى صلاة الجمعة نفسها أو غيرها من الصلوات ، امتثالا لقول الرسول الكريم : « **إذا أم أحدكم الناس فليخفف فان فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض وذا الحاجة** ».

* إن من خطباء المساجد من يفتقد أسلوب الداعية فى التحدث إلى الناس ، وهو الأسلوب الهادىء المتزن ، بدلا من الأسلوب الخطابى المعروف ، وبالصوت المدوى ، مع ضبط مكبرات الصوت على أعلى درجة .. فتكون نبرة الخطاب استفزازية عنيفة ، تصك الآذان ، ولا تتسلل إلى القلوب ..

أيها الأئمة الفضلاء .. إن رسالتكم جليلة ، ولأن تأتوها على خير وجه ، هو فى صالح المؤمنين .. عسى الله أن يقع ندائى هذا موقعا حسنا من نفوسكم ، والله من وراء القصد .. جعلكم الله هادين مهتدين ، ونفع بكم الأمة ، وجزاكم خيرا ..

وبالوالدين إحسانا

هناك أمور أكد رب الناس عليها ، ولفتنا إليها لفتا قويا ، ومن هذه الأمور الإحسان إلى الوالدين :

« **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا** »(١) .

وكلمة قضى معناها أمر وأوجب .

ولأن الله سبحانه هو مناط كل شيء في هذا الوجود ، فكان بديهيا الا نعبد إلا إياه ، لأنه هو الذى أوجدنا ، وهدانا سبلنا .. فاذا ما أقررنا بألوهيته ووحدانيته فذلك يتفق مع الفطرة السليمة ، واله الناس يغفر لعباده كل ذنب إن شاء الا أن ينكروا وجوده أو يشركوا به شيئا ، فهذا هو الحنث العظيم الذى لا مغفرة له الا بالتوبة (والحنث العظيم هو الاثم والذنب الأكبر) ثم قرن ملك الناس الاحسان إلى الوالدين بالايمان به ، فكان الايمان بالله والاحسان إلى الوالدين فى جملة واحدة !! وانظروا إلى باقى الآية لتروا إعجاز النص القرآنى فى تأصيل هذا الحكم

« **إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** »(٢) .

---

(١) الاسراء : ٢٣ .

(٢) الاسراء : ٢٣ - ٢٤ .

فالله يحفزنا إلى مزيد من الرحمة بالأبوين فى حال الكبر ، فلا ينبغى أن نتأفف لما قد يصدر عنهما من تصرفات فى هذه السن ، لأنهما فى حال ضعفهما واحتياجهما إلى أبنائهما بعد أن كانا هما اللذان يرعيانهم ويعطفان عليهم .. أى أنه حدث تبادل فى الأدوار .. لذلك تجدهما فى غاية الحساسية لما يصدر عن أبنائهما تجاههما ، وتؤثر فيهما الكلمة الطيبة والمعاملة التى تتسم بالعطف والحنان أبلغ تأثير ، كما تؤلمهما أشد الألم المعاملة الجافة الخشنة التى قد تتصف بالقسوة أو الجحود ..

وخالق الناس يعلم أن الوالدين فى حال الشيخوخة قد يبدر منهما تصرفات لا نوافق عليها أو نراها - بأعيننا نحن - بعيدة عن الصواب أو الحكمة ، يعلم الله ذلك فينبه عليه مسبقا " فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما " أى لا تظهر الضيق ازاء تصرفاتهما ، ولا تعنفهما أو تزجرهما .. بل قل لهما قولا لينا لا يخدش كبرياءهما ولا يجرح مشاعرهما ، وتذكر أنهما احتملا حماقاتك وشقاوتك فى صغرك بصبر وتفهم لكونك صغيرا لا تدرك ما تفعل ، أو تدركه ولكن تفعله بنزق واندفاع .. احتملا ذلك لفترة طويلة من عمرك ، وسهرا على رعايتك ، واعتنيا بك وأنت طفل رضيع ، ثم وأنت صبى ، ثم وأنت شاب يافع .. لم يتبرما ولم يتضجرا ، أفلا تذكر لهما ذلك ؟! وألا تصبر عليهما وتحتملهما كما صبرا عليك واحتملاك وغمراك بعطفهما وحنانهما ، وآثراك على أنفسهما فى كل أطوارك ؟! أفلا ترد لهما شيئا - ولو يسيرا - من سابق إحسانهما اليك ؟! .

واللافت للنظر أنه سبحانه أمرنا بخفض جناحنا لهما فى كل الأحوال .. لم يشترط لذلك حتى أن يكونا صالحين .. بل لم يستثن حالة واحدة من هذا الأمر ، حتى حين يأمران الأبناء بالشرك بالله !! تصوروا !! كل ما هناك ألا يستجيب الأبناء لهما فى ذلك وحسب :

« ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما »(١).

تأملوا معى النص " وان جاهداك " والمجاهدة أكثر بكثير من مجرد الدعوة إلى الشرك بالله فهى بذل الوسع والمغالبة .. حتى فى هذه الحالة لا يصح أن يغلظ الابن لهما فى القول أو يوبخهما ، وفى سورة لقمان نص آخر فيه هذا التوجيه :

« ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا »(٢).

ونلحظ فى هذه السورة أن الله تبارك وتعالى لم يجعل مجاهدة الأبوين للأبناء كى يشركوا بالله سببا فى هجرهما أو الإساءة إليهما بأى شكل من الأشكال .. بل أمر بحسن صحبتهما !! وهذا يتفق مع ما روى من أن أسماء بنت أبى بكر الصديق قالت : قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد رسول

---

(١) العنكبوت : ٨ .

(٢) لقمان : ١٤-١٥ .

الله – صلى الله عليه وسلم – ، فاستفتيت رسول الله قلت : قدمت على أمي وهي راغبة ، أفأصل أمي ؟ قال :"نعم صلى أمك" وهي راغبة تعني أن لها إلي حاجة .

شيء يند عن الوصف في رحمة الله ورسوله بالوالدين ، وتوجيه الأبناء إلى الإحسان إليهما حتى وإن كانا كافرين !! بل حتى وإن حاولا جهدهما أن يثنيا أبناءهما عن توحيد الله وافراده بالعبادة .. حقا إن ربنا الذي اتصف بكل هذه الرحمة أحرى ان نعبده مخلصين له الدين .. سبحانه ما أكمله وما أقدره وما أرحمه .. ثم هناك لفتة ربانية أخرى في السورة الكريمة :

« أن أشكر لي ولوالديك " مرة أخرى يقرن رب العزة الشكر للوالدين بالشكر له سبحانه .. هل هناك وصف يحيط بهذا المعنى ؟! لا أعتقد ...

وأقول لمن يتبرمون من أفعال الوالدين أو من القيام على خدمتهما ، أو العناية بهما حال مرضهما الذي قد يطول ، وقد يسبب عنتا ومشقة بالغين للابن وزوجته ، أو الابنة وزوجها ، أن الجنة " مهرها غالٍ " وأننا لا ندخلها دون مشقة ، والله يقول في ذلك :

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين »(١) .

ورعاية الوالدين جهاد ..

---

(١) آل عمران : ١٤٢ .

روى أنه جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستأذنه فى الجهاد فقال : " أحى والداك ؟ " قال نعم ، قال " ففيهما فجاهد " .. وفى حديث آخر يأتى بر الوالدين قبل الجهاد فى سبيل الله .. سأل أحدهم رسول الله أى العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال " الصلاة لوقتها " قال ثم أى ؟ قال " بر الوالدين " قال ثم أى ؟ قال " الجهاد فى سبيل الله " .. وإذا كان بر الوالدين فى منزلة الجهاد فى سبيل الله ، بل يسبق الجهاد منزلة ، فلا عجب أن يقول رسول الله - صلوات الله عليه وسلامه - " رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر ، أحدهما أو كليهما ، فلم يدخل الجنة " !! أى أن الذى لم يرحم والديه ويرعاهما ويحسن إليهما فى حال ضعفهما ، وتقدم سنهما ، واحتياجهما إلى من يعنى بهما ، من لم يدخل الجنة من هذا المدخل فانه يستحق أن تلامس أنفه التراب (الرغام) قالها ثلاث مرات ..

أنا أعلم أن هناك ظروفا تجعل رعاية الأبوين والاعتناء بهما فى غاية الصعوبة ، ولكن تبين لنا فيما سبق أن البر بالوالدين أمر يعدل الجهاد فى سبيل الله بل ويتقدم عليه .. ويعتبر مدخلا مؤكدا إلى الجنة .. أفلا تستحق الجنة أن نبر بأبوينا رغم ما قد يكتنف ذلك من مشقة ؟!! .

واشكروا لى ولا تكفرون

تصادف شخصا يطلب منك خدمة تؤديها إليه ، ويظهر لك مدى حاجته لهذه الخدمة ، وأنها معروف لن ينساه لك مدى الحياة .. وتتعاطف معه ، وتبذل قصارى جهدك من أجل تحقيق أمنيته ، فاذا ما نجحت فى ذلك وتحقق لهذا الشخص ما تمناه ، أدار لك ظهره واختفى حتى لا يقول لك شكرا .. يستكثر كلمة تخرج من بين شفتيه لن تكلفه شيئا .. مجرد كلمة للتعبير عن تقديره أو عرفانه لما بذلته من أجله من جهد واتصالات ورجاوات ، وتحملته عنه من جمائل .. الشىء الذى يثير التأمل أن الظروف قد تلجىء هذا الشخص نفسه إلى طلب خدمة أخرى فى وقت لاحق .. فيأتى إليك فى غير حياء ولا خجل ويطلب منك أن تؤديها له ! فهل تؤديها ؟! أمر مشكوك فيه .. ولكن ألا نفعل نفس الشىء مع خالقنا ؟! بل نفعله ، وبنفس الصورة المزرية .. يحزبنا أمر ، فنرفع أكف الضراعة متوسلين إلى الله أن يفعل لنا كيت وكيت أو أن يكشف عنا كذا وكذا ، فاذا استجاب لنا سبحانه تولينا وأعرضنا ، ولم نكلف أنفسنا أن نقول : الحمد لله !! والله تبارك وتعالى ينعى على الإنسان هذا السلوك القبيح :

« وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه »(١) .

---

(١) يونس : ١٢ .

أى إذا أصاب الإنسان ضرر فى نفسه أو ماله أو ولده أو تجارته ... الخ دعانا ، وتأمل معى قوله جل شأنه " دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما " فقد كان يكفى أن يقول سبحانه " دعانا " وإنما ذكر الله أن عبده دعاه حال كونه مضطجعا أو قاعدا أو واقفا ، مما يظهر لهفته والحافه فى السؤال .. فلما استجاب الله له وكشف عنه ضره تولى وكأن لم تكن له إلى الله مسألة !! إننا لا نتبين مدى خسة هذا السلوك الا حين نقارنه بمثل ما يحدث لنا من الآخرين ..

الشكر صفة تدل على رقى الإنسان ، والنكران عكس ذلك تماما ، فهو يدل على لؤم الطبع فيمن يتصف به ، ليس ذلك فحسب بل على قصر النظر أيضا ، لأنك قد تحتاج نفس الشخص مرة أخرى .. وعندئذ لن يعطيك سمعه ولا اهتمامه ولا تعاطفه ، لأنك أثبت انك لا تستحق الا التجاهل والاعراض .. وأنت إلى الله أشد احتياجا ، بل إنك لا تفتأ تحتاج إليه ، فلو أعرض عنك نتيجة لنكرانك السابق فانت الملوم وأنت الخاسر ..

شىء محير فعلا .. لماذا يجحد الناس - أو بعضهم - الجميل؟! ولا يحبون أن ينسبوه لصاحبه ؟! بل ينكرون أن أحدا فعل لهم الشىء الفلانى ، ويدعون أنهم هم الذين فعلوه بجهدهم واتصالاتهم ! إنه شىء كامن فى تلافيف النفس البشرية يستغله ابليس :

« قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين »(١).

والذى ينكر فضل أحد الناس عليه فانه ينكر فضل الله عليه أصلا ، لان الفضل فى النهاية بيد الله ، يجريه على يد من يشاء من عباده ، والله يثيب كل صاحب فضل :

« ويؤت كل ذى فضل فضله »(٢).

فالاعتراف بالفضل لأصحابه يدل - كما قلنا - على رقى النفس وكمالها .. وإنكار الفضل يدل على انحطاطها ونقصها .. وما أبشع الانكار حين يكون تجاه الله الذى منحنا وجودنا ، وأعطانا حواسنا التى بها نتفاعل مع الأشياء من حولنا :

« وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون »(٣).

فليراجع كل منا ذاته ، وليختر لنفسه أن يكون شكورا ، ويتعود أن يشكر للناس جمائلهم ، وأن يشكر لله صنيعه ، فالشكر يرتد إلى الشاكر ويعود عليه :

« ومن شكر فإنما يشكر لنفسه »(٤).

والشكر لله يكون بالقلب واللسان وإيتاء ذى القربى واليتامى والمساكين مما أعطانا الله ، وبالنوافل من العبادات كالصلاة والصيام ..

---

(١) الأعراف : ١٦ - ١٧ .
(٢) هود : ٣ .
(٣) المؤمنون : ٧٨ .
(٤) النمل : ٤٠ .

والتعبير بما هو مستكن فى القلب ، وبما يجرى على اللسان شىء جميل ، والأجمل منه التعبير بالأفعال ، فالأفعال قد تتحدث بلغة لا تجاريها الكلمات ولا تفى بها .. فهى أبلغ من ناحية ، وهى أصدق وأوثق من ناحية أخرى .. ولهذا يوصى خالق الناس أولياءه بأن يحمدوه بالأعمال :

«اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور»(١) .

فالله يريد أن يمن على أحبائه المتقين فيعلمهم كيف يشكرونه على أفضل وجه ، فهو سبحانه يقول :

« واتقوا الله ويعلمكم الله »(٢) .

والله يزيد أنعمه لمن يشكره عليها :

« وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد »(٣) .

وتأذن : قضى وحكم ، وتأملوا معى فيما تضمنته الآية الكريمة من أن المقابل للشكر هو الكفر والعياذ بالله ! وفى نفس المعنى :

« واشكروا لى ولا تكفرون »(٤) .

كما أن الشكر من العبد لربه عز وجل يجب أن يكون فى كل الأحوال وليس فقط حين يخوله نعمة ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم " **أول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء** " فحسن

---

(١) سبأ : ١٣ . (٢) البقرة : ٢٨٢ .

(٣) إبراهيم : ٧ . (٤) البقرة : ١٥٢ .

الظن بالله يقتضى منا اليقين بأن كل ما يأتينا منه فهو خير حتى وإن بدا فى ظاهره خلاف ذلك ، فنحمده حتى على المكروه ، أو الذى نحسبه مكروها ، فالمكروه إما أن يكون فى حقيقته نعمة ، فنحمده تعالى عليها ، وإما أن يكون ابتلاء .. ونجاحنا فى هذا الابتلاء بالصبر والتسليم والحمد هو نعمة كبرى يجزينا عنها خير الجزاء :

« وسيجزى الله الشاكرين »(١).

فالمؤمن مع الله فى أمان دائما وأبدا .. فلا ينبغى أن يجزع لشيء حتى وإن كان أمرا بالغ الشدة على نفسه ، مثل فقد عزيز غال كابن أو ابنة ، أو زوج أو زوجة ، أو أب أو أم ، أو أخ أو أخت .. فالصبر والحمد هنا جزاؤهما إن شاء الله الجنة ..

ثم ان هناك جانبا من الموضوع كثيرا ما يغيب عن بالنا .. إننا غالبا ما نحصر تفكيرنا فى أنفسنا ، وفى أننا فقدنا إنسانا غاليا علينا ، ولكن ماذا عن الإنسان الذى رحل إلى بارئه ؟! أليس من الممكن - بل لعله كذلك - أن يكون الخالق جل وعلا قد أكرمه ، واختار لوفاته ساعة رضا من عنده على عبده هذا ؟ وسواء جاءت المنية نتيجة لمرض عضال أو حادث أليم ، أو دون هذا وذاك .. فينبغى أن نسلم أمرنا لله فله ما أعطى وله ماأخذ ، ولا يليق بنا أن نعترض على حكمته ومشيئته ، إذ أن قضاء الله لنا ابتلاء ، ولمن حل أجله رحمة .. فالشكر لله على كل حال نعمة وحكمة ، والشكر للناس فطنة ، قبل أن تكون خلقا رفيعا ..

---

(١) آل عمران : ١٤٤ .

اهدنا الصراط المستقيم

المؤمن مطمئن دوما .. فى الحياة الدنيا هو مطمئن ومستبشر ، لا يخشى ما يخشاه الناس من صروفها ، ولا يحزن على ما يحزنون عليه فيها :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون »(١) .

أى أن الملائكة تلقى فى قلوبهم السكينة والطمأنينة فى الدنيا وتبشرهم بالجنة التى وعد الله عباده الصالحين ، والتى يرزقون فيها بكل اللذات ، وبكل ما يرغبون فيه ، وتهفو نفوسهم إليه (ما يدعون) .

ويوم القيامة لا يفزعون كما يفزع غيرهم حيث تتلقاهم الملائكة بالبشرى :

« ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون . لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون »(٢) .

---

(١) فصلت : ٣٠-٣١ .

(٢) الأنبياء : ١٠١-١٠٣ .

أى أنهم آمنون من النار ، ولا يسمعون صوت اضطرامها .. وانظر إلى عبارة " وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون " فهى عبارة لو أمعن الناس النظر إلى مدلولها لما رضوا بالجنة بديلا ، ولسعوا لها سعيها ، وكان تنافسهم فيها :

« وفى ذلك فليتنافس المتنافسون »(١).

وإذ يدخلون الجنة تستقبلهم الملائكة بالترحيب :

« سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »(٢).

أى ما أحسن عاقبتكم ، وهى الخلود فى دار النعيم .. جزاء صبركم على طاعة الله وعن معصيته .

لكن دعونا نعود إلى البداية .. ألا وهى الإيمان بالله ثم الاستقامة ، وهما شرط هذا كله ، الايمان بالله نعرفه بيقين ، ولكن ما هى الاستقامة تحديدا ؟ هى سلوك طريق الخير .. الطريق القويم ، فحين نقول " هذا شخص مستقيم " فان هذه العبارة تترك انطباعا طيبا عن الشخص المعنى ، وتوحى بالثقة فيه وبحسن أخلاقه .. والاستقامة هى ضد الاعوجاج ، فاذا قلنا " هذا شخص أعوج " فاننا نعنى شخصا ساء خلقه ولا يمكن الثقة فيه على أى نحو من الانحاء ، ورب العزة يدعو من يريد الاستقامة أن يهتدى بالقرآن :

« إن هو إلا ذكــر للعــالمين . لمن شــاء منكم أن يستقيم »(٣).

---

(١) المطففين : ٢٦ . (٢) الرعد : ٢٤ . (٣) التكوير : ٢٧ – ٢٨ .

ونقرأ ذات المعنى فى سورة الزمر :

« قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون »(١).

غير ذى عوج أى لا انحراف فيه ولا التواء .. وبضم المعانى فى السورتين معا يقول المولى عز وجل ان الذى يريد أن يستقيم سوف يجد ضالته فى آيات الكتاب الحكيم .. وقد سأل أحدهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم " يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك ، فرد الرسول : قل آمنت بالله ثم استقم " وواضح أن الاستقامة هى من جوامع الكلم ، وتتسع لكل الفضائل والأخلاق السوية .

وبغض النظر عن المعنى الحاضر فى أذهاننا عن الاستقامة .. فلماذا يكون الطريق المستقيم هو الطريق السليم ؟! دعونا نتخيل ربان سفينة فى عرض البحر ليس لديه أجهزة لتحديد الاتجاه .. هل يصل هذا الربان إلى الميناء الذى يقصده ؟ والشىء المقترن بتحديد الاتجاه هو أن يسلك الربان إلى الهدف خطا مستقيما .. وبدون هذين الشرطين : تحديد الاتجاه إلى الميناء ، واتباع خط مستقيم فى ذلك الاتجاه ، فلا يمكن أبدا الوصول إلى الميناء المقصود .. وكذلك فى الحياة .. فلابد لأى إنسان أن يحدد هدفه فيها ، وأن يسلك إلى هذا الهدف خطا مستقيما ، فالخط المنحى أو المعوج ليس له اتجاه يمكن ضبطه

---

(١) الزمر: ٢٨.

عليه ، وبالتالى يسير الإنسان إلى غير هدف ، ولا يدرى أين موقعه ، ولا كيف يتقدم أو كيف يعود ادراجه .. ظلمات بعضها فوق بعض .. فالخط المستقيم هو الخط الوحيد الذى يمكن توجيهه إلى أى هدف ، وهو الذى يصل بالإنسان إلى الهدف .. ولذلك فنحن نقرأ فى كل ركعة من ركعات الصلاة فاتحة الكتاب ، وفيها نتوجه بالدعاء إلى الله " اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم . ولا الضالين " أى اهدنا إلى الطريق المستقيم ، طريق الذين أنعمت عليهم .. وطريق الذين أنعم الله عليهم هو الطريق المتجه إليه سبحانه .. طريق طاعته ، وهو طريق السلامة الذى يوصل إلى رضوانه وإلى جنته .. فهو أولا خط مستقيم ، ووجهته هو الله .. أى أنه مستوف للشرطين الواجبين .. الخط المستقيم فى الاتجاه السليم .. وهذا يختلف عن خط الذين غضب الله عليهم لأنه متجه إلى غير الله سبحانه ، وكذلك بالنسبة للضالين .. الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .. هؤلاء ضلوا الطريق فهم فى غيهم يعمهون وفى ضلالهم يترنحون ..

وهؤلاء واؤلئك (أى المغضوب عليهم والضالين) يخاطبهم رب الناس يوم القيامة :

« ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين.وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم . ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون . هذه جهنم التى كنتم توعدون . اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون »(١).

أى أن تحديد الاتجاه إلى عبادة الله وإلى ما يرضيه سبحانه هو وحده - دون غيره - الصراط المستقيم .. والله بعدله لا يفاجئهم يوم القيامة بهذا القول ، بل أعلمهم به فى كتابه الحكيم ، وهم مازالوا فى الدنيا يملكون تغيير الاتجاه .. فهم لا يستطيعون الاحتجاج على الله يوم الحساب بأنهم لم يكونوا يعلمون ..

وإذا كانت الأشياء تتمايز بأضدادها .. وقد عرفنا حال الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، فماذا عن الذين نسوا الله ؟! يقول تبارك وتعالى :

« ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »(٢).

أى أن من يعرض عن ذكر الله فانه يعيش غير مطمئن ولا مرتاح البال ، بل يلهث وراء الدنيا ويجرى جرى الوحوش ،

---

(١) يس : ٦٠ - ٦٤ .

(٢) طه : ١٢٤-١٢٦ .

ومع ذلك فهو لا يشعر بالسعة ، وإنما يستشعر الضيق (وهذا معنى " فان لهُ معيشة ضَنكا ") وفى الآخرة يحشر أعمى ، وعندما يسأل ربه عن سبب ذلك فانه يجيبه بأن من يعرض عن ذكرى فى الدنيا فإنى أتجاهله يوم القيامة ولا أقيم له وزنا :

« **أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** »(١) .

وهم إذ يدخلون جهنم مع الداخلين يدور بينهم الحوار التالى :

« **هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار . قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار** »(٢) .

كلمة أخيرة أقولها للفريقين :-

أقول للذين آمنوا واستقاموا : استزيدوا من فعل الخيرات وعمل الصالحات حتى تحوزوا الدرجات العلا فى الجنة ان شاء الله .. فإذا كانت المراكز تتفاوت بين الناس فى الدنيا ، فتفاوتها فى الآخرة أكبر :

« **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا** »(٣) .

---

(١) الكهف : ١٠٥ .

(٢) ص : ٥٩ - ٦٠ .

(٣) الاسراء : ٢١ .

وأقول للفريق الآخر : إن كنتم أسرفتم على أنفسكم فلا تقنطوا من رحمة الله ، ولا تستسلموا للهلاك ، واخذلوا الشيطان فأنفسكم أولى بالرعاية :

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم »(١) .

الفرصة مازالت أمامكم فلا تضيعوها .. واختاروا لأنفسكم الجنة ، فوالله إنها لحق مثل ما أنكم تنطقون ..

---

(١) الزمر : ٥٣ .

لم تقولون ما لاتفعلون

من الناس من يقول عن نفسه أشياء لا تصدقها أفعاله ، وقد ذم رب العزة هذا التناقض بين القول والفعل فى الآية الكريمة :

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون »(١)

أى أن الله يبغض هذا التناقض إلى درجة المقت .. فهناك من يتباعد قوله عن فعله بعدا كبيرا ، بل قد يفعل عكس ما يقوله .. يصف نفسه بأنه أمين ، ثم إذا جاءته الفرصة يخون .. يصف نفسه بأنه : " حقانى " ثم إذا حضره موقف يستدعى هذه الصفة انحاز إلى الزور والباطل .. يدعى أنه نصير للمظلومين ، ثم لا يتورع عن الظلم هو نفسه .. وهناك مثل شعبى يقول " أسمع كلامك أصدقك أشوف أمورك أستعجب " أى أن المراقب لأحوال هذا الشخص يتملكه العجب من فرط مخالفة الفعل للقول .. ما هى صفة مثل هذا الشخص ؟! إنه شخص مخادع ، لا أمان له ولا ذمة .. الأفعال هى التى تثبت جدية الأقوال أو تنقضها وتنفيها .. وكلما كبرت المسافة واتسعت بين القول والفعل لدى شخص معين دل ذلك على أنه إنسان فاقد المصداقية ، وكلما ضاقت المسافة أو انعدمت بين القول والفعل دل ذلك على شخصية سوية ، والإنسان ذو الشخصية السوية هو إنسان

---

(١) الصف : ٢-٣ ..

حسن الخلق يرضى عن نفسه ، ويرضى عنه الناس ، ويرضى عنه الخالق جل وعلا .. يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- " **إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة .. وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة فى جهنم** " أى أن الإنسان الفاضل المتصف بحسن الخلق ينزله الله درجة رفيعة فى الجنة وإن كان قليل العبادة .. يا ليت الناس الذين لا يتصفون بالمصداقية فى أقوالهم يعلمون أى خسران يلحق بهم نتيجة لتباعد أفعالهم عن أقوالهم ..

أيها القراء الأعزاء والقارئات العزيزات

الصدق مع النفس ومع الناس ومع الله جزاؤه رضوان الله والجنة :

« هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم »(١) .

أفلا يساوى الصدق - بعد ما تقدم - أن نكون صادقين ولا نجعل مسافة بين ما تقوله ألسنتنا وما تضمره قلوبنا ؟! يقول الرسول - صلوات الله عليه وسلامه - إن الله قال : لقد خلقت خلقا ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمر من الصبر ، فبى حلفت لاتيحنهم فتنة تدع الحليم منهم حيران ، فبى يغترون ؟ أم على يجترئون ؟! " أى هل يتوهمون أن الله لا يحاسبهم على

---

(١)المائدة:١١٩.

خداع الناس وتضليلهم والتمويه عليهم ؟! لأنه أقسم سبحانه بذاته ليفتننهم فى الدنيا بما يجعل الرشيد منهم حائرا متخبطا مترددا .. وهذا بخلاف عذاب الآخرة ..

والناس الذين يتصفون بالتناقض بين الأقوال والأفعال تجدهم يتخبطون ظانين أن الغش شطارة والخداع " فهلوة " ويتبعون مثلا شعبيا صكوه بأنفسهم يقول " اللى تغلب به العب به " بما يعنى أن الغاية تبرر الوسيلة ، وأن تحقيق هدف ما بأى وسيلة لا شىء فيه أو عليه .. هذا المثل الذى صاغوه ثم قدسوه وتعبدوا به ، إن هو إلا تعبير عن هوى النفس :

« أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة » (١) .

هؤلاء الذين يضمرون شيئا ويعلنون خلافه :

« **يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم** » (٢) .

لا يظنون أنهم سيلقون جزاءهم فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وإذا ما حلت بهم الكوارث والنكبات لا يربطون بينها وبين ما قدمت أيديهم :

« **فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم** » (٣) .

أما فى الآخرة فيحل عليهم مقت الله .

الذى أريد أن أنبه إليه وأؤكد عليه أن الاختبار الحقيقى لكل إنسان هو فى تعامله مع الآخرين .. ولا يجب أن يخدع أحد نفسه

---

(١) الجاثية : ٢٣ . (٢) الفتح : ١١ . (٣) النساء : ٦٢ .

عن ذلك ، فإذا كان تعامل الإنسان مع الناس أساسه الغش والخداع ، أو اغتصاب حقوق الآخرين ، أو النصب والتحايل ، أو التكبر والاستعلاء ، أو الحقد والغيرة ، أو البغى والإيذاء ، أو الكيل بمكيالين (سواء كان كيلا حقيقيا أم مجازا) :

« ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين »(١).

إذا كان تعامل الإنسان مع الآخرين فيه شيء من ذلك ، أو غيره مما يشبهه ، فذلك لن يقرب الإنسان من خالقه ، بل لن يزيده من خالقه إلا بعدا ، وإن صام وإن قام ، فالمؤمن الذى يتعبد لربه بالصيام والقيام ينبغى عليه أن يتقى الله فى خلقه ، وإلا كان منافقا :

« إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا . إلا الذين تابوا وأصلحوا ..»(٢).

ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : **" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "** فإذا كان الواحد منا لا يحب أن يظلمه أحد أو يتعالى عليه أو يغشه أو يخدعه أو يغتصب حقه أو يتجسس عليه أو يغتابه ...الخ . فيجب ألا يفعل هو شيئا من ذلك مع الآخرين ، وإلا انتفت عنه صفة الايمان الحق ، واقرأوا معى إن شئتم أيضا قول الرسول

---

(١) المطففين : ١–٦ . (٢) النساء : ١٤٥–١٤٦ .

- صلى الله عليه وسلم - " **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** " أى أن المسلم من أمن الناس من تعديه عليهم بالقول أو بالفعل .. فاذا كان الشخص بذىء اللسان متطاولا على الناس ، عدوانيا ، يقول شيئا ويفعل غيره ، لم يكن مسلما بمعنى الكلمة وإن صلى وإن صام ، وإن حج وإن اعتمر (ما لم يتب) يجب أن يكون هذا مفهوما وواضحا لكل من يرجو الله واليوم الآخر ، وليعرف كل منا نفسه على حقيقتها .. فان أراد بنفسه خيرا فليصلح ما بنفسه وليغير من نهْجه مع الآخرين ..

الإنسان يعرف صورته الظاهرة من المرآة الزجاجية ، ولكنه يعرف صورته الباطنة من مرآة سلوكياته تجاه الناس ، فان كانت سلوكياته - بعامة - مما يرضى الله ، فليحمد الله ، وليكثر من إسداء الخير للناس ، والبعد عن ظلمهم وإيذائهم واغتصاب حقوقهم .. وإن كانت سلوكياته تجاه الآخرين مما يغضب الله ، فليتب وليستغفر الله عز وجل ، وليندم على ما فرط فى جنب الله ، وليراجع نفسه ، ويصلح ما أفسده ، عسى الله أن يتوب عليه إن الله تواب رحيم ..

أما إن كان من الذين لا يتناهون عن منكر فعلوه .. ولا يكترث بشىء .. ولا يعبأ بنصح .. مثل هذا الشخص جدير بالرثاء حقا لأنه سيواجه عاقبة عمله وسيندم حين لا يجدى الندم .. يوم ينفض السامر ، ويأتى الله فردا :

« **وكلهم آتيه يوم القيامة فردا** »(١).

---

(١) مريم: ٩٥.

ذرهم يأكلوا ويتمتعوا

كلما قرأت الآية الكريمة :

« ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون »(١).

تملكنى الإحساس بأن متاع الحياة الدنيا وكأنه فخ كبير أعد لاصطياد " غير اللائقين " أو غير الصالحين لدخول الجنة .. فمتاع هذه الحياة الدنيا - على قلته وتهالكه وتهافته - يغرى كثيرا من الناس ، فيندفعون إليه ويتدافعون عليه ، وينسون الله والدار الآخرة ، فليس لديهم وقت يضيعونه معه أو من أجله !! والله يرد لهم نسيانهم ليوم الحساب :

« فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون »(٢).

وهم فى هذا الاندفاع المحموم للحصول على أكبر قدر من متع الحياة الدنيا وزينتها ، لا يدرون أنهم وقعوا فى الفخ أو الشرك الذى نصبه الشيطان لهم ، بتزيين هذه المتع فى أعينهم لتبدو كبيرة ومغرية بأكثر من حقيقتها ، ذلك ليستزيد من أعداد من سيشاركونه نار جهنم .. ومثل هذا تجده بين بنى الإنسان ، فالذى يبتلى بشىء ، مثل التدخين أو تعاطى المخدرات أو الشذوذ أو .. أو .. يعمل جهده ويسعى سعيه كى يجر معه أكبر عدد ممكن من أقرانه ليشاركوه بلواه .. ونجاحه فى ذلك

---

(١) الحجر : ٣ .

(٢) السجدة : ١٤ .

يمده بالسلوى .. فهناك غيره يسيرون على دربه ، ويقاسمونه محنته .. وإبليس هو أول من وضع هذا المبدأ وأرسى قواعده :

« قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين » (١) .

وكلما أغوى إبليس واحدا أو عددا من الناس - فأصبحوا غاوين - سارعوا هم أنفسهم إلى إغواء غيرهم حتى يكونوا معهم فى نكبتهم ، وهم يعترفون لهم بعد أن قضى الأمر ، وحق عليهم العذاب جميعا :

« فأغويناكم إنا كنا غاوين . فإنهم يومئذ فى العذاب مشتركون » (٢) .

هذا المبدأ أصبح ساريا منذ أن حلت اللعنة على إبليس ، فتوعد بأنه سينتقم من ذرية آدم ، هذا المخلوق الذى أمره الله بالسجود له ، وحلت عليه لعنة الله إذ لم يمتثل لأمر ربه بالسجود لآدم ، غيرة واستكبارا .. توعد إبليس بأنه سيغوى ذرية آدم ، ويضلهم عن سبيل الله ، ويزين لهم فى الأرض حتى يتنكبوا الطريق ، ويستبقوا الصراط ، ويلغوا فى متاع الدنيا إلى آذانهم لا يلوون على شىء ، ولا يراجعون أنفسهم ، بل يسخرون من ناصحيهم إلى الحد الذى يقولون لهم فى سخرية " انتو مصدقين بصحيح إن فيه آخرة ؟! وجنة ونار ؟! " ويضحكون ملء أشداقهم .. ورب العزة الذى يعلم ما كان وما سيكون ، صور ذلك المشهد بقوله تعالى :

---

(١) الحجر : ٣٩ - ٤٠ .　　(٢) الصافات : ٣٢ - ٣٣ .

« إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون . وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين »(١) .

هذا المشهد ، فى الدنيا ، يقابله مشهد مختلف فى الآخرة - وهو المشهد الأخير :

« فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون »(٢) .

والمثل يقول " من يضحك أخيرا يضحك كثيرا " .

والغريب أن متاع الدنيا هذا الذى يستولى عليهم ، إلى الحد الذى يصرفهم عن ذكر الله واليوم الآخر ، متاع قليل بكل المقاييس إذا قورن بنعيم الجنة .. والخالق جل وعلا ينبه خلقه إلى هذه الحقيقة فى مواضع كثيرة من كتابه الحكيم :

« قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى »(٣) .

ويقارن بين من لم يقعوا فى الفخ واتقوا الله ، وبين من تهالكوا على متاع الحياة الدنيا ونسوا ذكر ربهم :

« أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين »(٤) .

أى هل يستوى الذى اتبع رضوان الله فى الدنيا ، أملا فى وعد الله بالجنة - ولا يخلف الله وعده :

---

(١) المطففين : ٢٩ - ٣١ .
(٢) المطففين : ٣٤ .
(٣) النساء : ٧٧ .
(٤) القصص : ٦١ .

« وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله »(١).

هل يستوى هذا بمن انصرف كلية إلى متاع الحياة الدنيا ، ثم أحضر فى الآخرة للعذاب المهين ؟! لا يستويان .. علما بأن من يتبع رضوان الله فى الدنيا سوف يأخذ نصيبه من متاع الدنيا أيضا ! أى لن يخسر الدنيا ولن يخسر الآخرة ، بل هو فى الآخرة من الفائزين ، وما أدومه وما أعظمه من فوز !! إنه هو الفوز العظيم ..

نعود إلى الآية الكريمة عنوان هذا المقال " ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل " فالأكل من متع الحياة الدنيا التى يشترك فيها المتقون والفجار .. وما سواه من المتع يشترك فيها أيضا المتقون والفجار ، فيما خلا أن المتقين يقنعون بالمتع التى أحلها الله ، فى حين أن الآخرين لا يدققون ولا يفرقون بين هذه وتلك ، ولا يأبهون .. فهل هذه المتع الحرام - الزائدة - وهى محدودة بطبيعتها ، وإلى زوال على أى حال ، تعوض أن يحمى على الشخص فى نار جهنم فيشوى وهو حى ؟! تأكل النار جلده فيخلق له جلد جديد ليظل يتألم ويتعذب ويندم ؟! :

« إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب » (٢).

---

(١) التوبة : ١١١ .

(٢) النساء : ٥٦ .

والذين يكذبون بلقاء الآخرة أو يعتريهم الشك فيها ، يجدون تعضيضا ممن هم على شاكلتهم ، خوفا من أن يتحولوا إلى الإيمان ويتركوهم لكفرهم :

« أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون . إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين » (١).

وإذا كان هؤلاء وأضرابهم يتآزرون ويتساندون فى الدنيا ، ففى الآخرة سيكون الواحد منهم بمفرده أمام الله الواحد القهار :

« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم »(٢).

وتركتم ما خولناكم : أى تركتم ما متعناكم به فى الحياة الدنيا :

« أفرأيت إن متعناهم سنين . ثم جاءهم ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون » (٣).

ونمضى مع الآية " ويلههم الأمل " ولكن الأمل فى ماذا ؟! الرياضى يتمنى أن يحصل على ميدالية ذهبية أو فضية أو برونزية !! الممثل " الكومبارس " يتمنى أن يصبح ممثلا معروفا ، فإذا أصبح ممثلا معروفا ، تمنى أن يعهد إليه بأدوار " البطولة المطلقة " ! وأن يصبح (أو تصبح) نجم أو نجمة " شباك " ! الموظف فى مؤسسة يأمل أن يكون رئيسا لقسم من

---

(١) المؤمنون : ٣٥-٣٧ . (٢) الأنعام : ٩٤ . (٣) الشعراء : ٢٠٥-٢٠٧ .

الأقسام بالمؤسسة ، فإذا تحقق له ذلك تمنى لو يصبح مديرا لادارة ما ، فإذا نال هذا ، تمنى لو عين مديرا عاما أو عضوا بمجلس الإدارة أو رئيسا لمجلس الإدارة .. الطبيب يتمنى أن يكثر مرضاه ، ويشتهر بحيث لا تخلو عيادته من المرضى معظم ساعات النهار والليل ، والمحامى يتمنى أن تطبق شهرته الآفاق ، ويتزاحم عليه الزبائن من كل حدب وصوب ، الشخصيات العامة والأدباء والفنانون فى العالم أجمع ، يتمنى الواحد منهم أن يحصل على وسام أو وشاح أو قلادة .. والأمر الذى يثير التأمل بحق ، أنه حينما ينتقل أحدهم إلى الدار الآخرة ، تجدهم يتقدمون الجنازة بوسادة من المخمل ، عليها ما حصل عليه المتوفى من أوسمة أو نياشين أو قلائد ؟ هل عرض هذه الأوسمة - وهو على بعد خطوات من قبره - يفيده حينما تأتيه الملائكة لتسأله ؟! محدودة هى الآمال فى الدنيا ، والتى ينشغل بها الناس ، ويفنون أعمارهم فيما لا يفيدهم فى دار القرار .. وصدق على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - إذ قال : **"الدنيا عيشها قصير ، وأملها حقير ، وخطبها يسير "** .. فأى أمل يراود الإنسان فيها ، هو فى النهاية لا شىء على الإطلاق .. الآمال فى الدنيا تبدو براقة .. المال ، الشهرة ، النجومية ، الأضواء ، المركز الاجتماعى ... الخ .

هذه هى حظوظ الدنيا وهى - كما ترون - محدودة .. متواضعة .. زائلة ، وبريقها ما يلبث أن يخبو .. ثم ينطفىء ..

فاذكرونى أذكركم

هناك مثل يقول : من أحب شيئا أكثر من ذكراه " ، فذكرك الله كثيرا - خالق كل شيء - يعنى أنك تحبه .. وما دمت تحبه فهو يحبك ، وإذا أحبك أكرمك فى دنياك وآخرتك .. ولكن ما هو الذكر وما هى صفته ؟! إذا كان هناك شخص فى حياتك عزيز عليك فأنت تذكره دوما ولا تنساه أبدا .. ولا يشغلك عنه شيء .. ليكن هذا الشخص ابنك أو ابنتك ، أو زوجتك أو زوجك أو والدك أو والدتك أيا ما كان ، فإنه (أو أنها) دائما حاضر فى ذاكرتك وفى بؤرة اهتمامك .. أفهناك من هو أعز إلينا ممن أوجدنا ولم نك شيئا ؟! أهناك من هو أولى باهتمامنا وذكرنا إياه من بدايتنا منه ورجوعنا إليه ؟! أهناك من هو أحق أن ننشغل به ممن بيده مصائرنا فى الدنيا والآخرة ؟! .

لو فكرنا مع أنفسنا لوجدنا أن ذكرنا لبارئنا هو خير شيء نقدمه لأنفسنا فى أولانا وأخرانا ، وإن نفعل ذلك فان الله به عليم ، إذ يقول عز من قائل :

« فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون »(١) .

أى أن الخالق جل وعلا يذكر من يذكره من عباده .. يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه " **أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلىّ شبراً تقربت إليه**

---

(١) البقرة : ١٥٢ .

ذراعا ، وإن تقرب إلىّ ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة " والذراع هو ما بين المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى فى الكف ، والباع هو مسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يمينا وشمالا (أى بقدر أربعة أضعاف الذراع تقريبا) وفرق بين المشى العادى الذى نأتيه به وبين المشى السريع أى الهرولة التى يأتينا بها مالك الملك والملكوت .. أىُّ كرم يكتنفنا وأى فضل يسبغ علينا ممن بيده مصائرنا ؟! روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه سئل : أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : " الذاكرون الله كثيرا " وعنه أيضا فيما يرويه عن ربه " يا ابن آدم إنك إذا ذكرتنى شكرتنى وإذا نسيتنى كفرتنى " وكفرتنى تعنى جحدت نعمتى عليك .

ويروى أن رسول الله خرج على حلقة من أصحابه فقال : " ما أجلسكم " ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا . قال " آلله ما أجلسكم إلا ذلك " ؟ قالوا : آلله ما أجلسنا إلا ذلك ، قال " أما انى لم أستحلفكم تهمة لكم ؟ ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة " آلله أى بالله ؟ شىء متناه فى اعتزاز رب العالمين بعباده الذين يذكرونه فى مجالسهم .. ولذلك يقول الرسول - صلوات الله وسلامه عليه " ليس يتحسر أهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها " وذلك لما رأوه من الجزاء العظيم لذكر الله فى

الدنيا ، لدرجة أنهم ودوا لو لم يضيعوا وقتا كان متاحا لهم فى الدنيا لذكر الله والثناء عليه .. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " **إن لله تعالى ملائكة يطوفون فى الطريق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا : هلموا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم - وهو أعلم - ما يقول عبادى ؟ فيقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ، فيقول : هل رأونى ؟ فيردون : لا والله ما رأوك ، فيقول : كيف لو رأونى ؟ فيرد الملائكة : لو رأوك لكانوا أشد لك عبادة وأشد تمجيدا وأكثر تسبيحا ، فيقول : فماذا يسألون ؟ فيجيبون : يسألونك الجنة . فيقول : هل رأوها ؟ فيقولون : لا والله يا رب ما رأوها ، فيقول : فكيف لو رأوها ؟ فيردون : لو أنهم رأوها لكانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة ، قال : فمم يتعوذون ؟ فيجيب الملائكة : يتعوذون من النار ، فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون " لا والله ما رأوها ، فيقول : كيف لو رأوها ؟ فيجيبون : لو رأوها لكانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة ، قال : فأشهدكم أنى قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوه وأجرتهم مما استجاروا** " .

كذلك ، فإننا حين نستحضر الله فى قلوبنا ونذكره رهبا ورغبا ، وخوفا وطمعا ، فإنه سبحانه يقدر لنا ذكرنا إياه ، ويرحم ضعفنا ، ويجبر خاطرنا ، ويصلح بالنا ، ويغفر لنا خطايانا ، ويدخلنا جنته ..

والله يثنى على الذين يذكرونه حال كونهم قائمين وقاعدين ومضطجعين ، ويصفهم بأنهم أولو الألباب :

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » (١).

ربنا ما خلقت هذا باطلا أى ما خلقت هذا الكون العظيم بسماواته وأرضه عبثا ، فقنا النار التى لا قبل لنا بعذابها ..

ولعظم جزاء الذكر فان الله تبارك وتعالى يوصى أولياءه بالإكثار منه إذ يقول لزكريا عليه السلام :

« واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار »(٢).

والعشى هو المساء ، والإبكار هو الصباح ، وقد وعد الله من يكثر من ذكره بالمغفرة والأجر العظيم :

« والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »(٣).

والأجر العظيم هو الخلود فى جنات النعيم ..

---

(١) آل عمران : ١٩٠ - ١٩١ .

(٢) آل عمران : ٤١ .

(٣) الأحزاب : ٣٥ .

وقد روى أن رجلا سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ، قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشيء أتشبث به ، قال : " **لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله** " ، وعن أم أنس قالت : يا رسول الله أوصنى قال : " **اهجرى المعاصى فإنها أفضل الهجرة ، وحافظى على الفرائض فإنها أفضل الجهاد ، وأكثرى من ذكر الله فإنك لا تأتين الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكره** " .

أيها القراء الأعزاء :

« اذكروا الله ذكرا كثيرا ، وسبحوه بكرة وأصيلا . هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما . تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما »(١) .

---

(١) الأحزاب : ٤١ - ٤٤ .

وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم

من أنبل الصفات التى يمكن أن يتصف بها إنسان الوفاء بالوعد ، ولذلك امتدح رب العزة إسماعيل عليه السلام فى كتابه العزيز :

« واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا »(١) .

كما امتدح تباركت آلاؤه المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » (٢) .

أى أن من هؤلاء المؤمنين " رجال " جادوا بأرواحهم فى سبيل الوفاء بما عاهدوا الله عليه ، فاستشهدوا فى حومة الوغى جهادا فى سبيل الله ، وآخرون يتلهفون على اللحاق بإخوانهم .. هؤلاء وأولئك لم يتراجعوا عما عاهدوا الله عليه .. وهم لهذا " رجال " ، وهو تعبير نستخدمه لوصف الإنسان الذى يفى بما يعد به ، فنقول فلان هذا رجلٌ بمعنى الكلمة ، فالوفاء بالوعد أو بالعهد كما قلنا صفة إذا اتصف بها إنسان كان على خلق رفيع :

« وإبراهيم الذى وفى »(٣) .

---

(١) مريم : ٥٤ .
(٢) الأحزاب : ٢٣ .
(٣) النجم : ٣٧ .

فمعدن الإنسان يظهر على حقيقته حين يحل أجل الوفاء بالوعد أو بالعهد ، فنعلم وقتئذ إنْ كان معدنه نفيسا كالذهب النضار ، أم أنه قشرة ذهبية براقة تخفى تحتها معدنا زهيد القيمة .. ولذلك يحثنا رب الناس أن نفى بعهودنا ولا ننقضها ، فيقول عز من قائل :

« وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا »(١).

ويحذرنا ربنا من عدم الوفاء بما نعاهده عليه :

« وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون »(٢).

والذى لا يفعل ذلك – أى لا يفى بعهده مع الله – يعد منافقا ، فيلزمه الله هذه الصفة التى ارتضاها لنفسه :

« ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون »(٣).

والله جل شأنه يربط بين الوفاء بالعهد والتقوى :

« بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين »(٤).

---

(١) الاسراء : ٣٤ .

(٢) البقرة : ٤٠ .

(٣) التوبة : ٧٥ – ٧٧ .

(٤) آل عمران : ٧٦ .

كما يصف نفسه سبحانه بأنه أوفى من عاهد ، ففى الآية الكريمة :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة .... » إلى قوله تعالى : **« ومن أوفى بعهده من الله »** . وأن هذه صفقة رابحة وفوز عظيم للمؤمنين الصادقين ، ولذلك قال سبحانه فى نفس الآية :

« فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (١) .

وبما أن الله هو أوفى من عاهد ، فإننا ندعوه بهذه الصفة أن ينزل خاتم رسله محمدا - صلى الله عليه وسلم - المقام المحمود الذى وعده به فى الجنة ، كنوع من الوفاء والعرفان بما أداه لهذه الأمة ، فنقول عقب أذان كل صلاة « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الفضيلة والوسيلة وابعثه اللهم المقام المحمود الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد » وهذا الدعاء نثاب عليه من خالقنا ، لأنه تعبير عن حبنا وتقديرنا لرسول الله وخاتم النبيين ، الذى كان حريصا علينا رؤوفا بنا ، كما شهد بذلك له رب الناس :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » (٢) .

ويصف الله الذين يوفون بعهودهم بأنهم الصادقين المتقين :

---

(١) التوبة : ١١١ .

(٢) التوبة : ١٢٨ .

« والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » إلى قوله تعالى :
« أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »(١).

والذى أريد أن أؤكده لقرائى الأعزاء خطأ الفكرة الشائعة بين كثير من الناس - للأسف - أن " اللعب بالبيضة والحجر " مكسب وشطارة " فى حين أنها فى واقع الأمر عكس ذلك تماما ، ولا يتحقق الناس من ذلك الا متأخرين جدا فيدركون عندئذ - وعندئذ فقط - أن ما كانوا يحسبونه مكسبا وشطارة انما هو خسارة وخيبة ، ودعونا نستعرض أوجه الخسارة على النحو التالى :

* إن الشخص الذى لا يحترم عهوده يخسر نفسه أول كل شىء .. فقليل من الناس من يتيقن أن خسارته فى نفسه أشد وأفدح من أى خسارة أخرى .. فإذا فقد الإنسان الاعتبار فى نظر نفسه فقد الكثير .. فى حين أن احترامه لنفسه - نتيجة تصرفاته الرفيعة المستوى - فإن هذا فى حد ذاته يعتبر شيئا نفيسا غاليا لا يقبل المقايضة عليه أو التضحية به ..

* إن الشخص الذى لا يحترم كلمته يسىء إلى صورته أمام أقرب الأقربين إليه : زوجته وأبنائه ، وإن لم يفصحوا عن دخيلة نفوسهم ، إشفاقا عليه أو إشفاقا منه ، ولكنه لا يعود قدوة صالحة لزوجته أو لأبنائه .. ويتحمل هو كل ما يمكن أن يترتب على ذلك من آثار ومضاعفات ، قد توجع ضميره لاحقا وتهدّ كيانه ..

---

(١) البقرة: ١٧٧.

* أن مثل هذا الشخص يفقد ثقة المحيطين به والمتعاملين معه ، إن لم يكن في الحال ففي الاستقبال يقينا ، وهذا يمثل خسارة اجتماعية وأدبية ومادية لا تعوض .

* أن مآله في الآخرة سيئ ، بشكل يفوق كل توقعاته أو حساباته أو ظنونه .. وهذه خسارة لا تعادلها خسارة ، لأنها تلاحقه وتدخله جهنم حيث يقول وأمثاله في حسرة :

« هل إلى مرد من سبيل »(١) .

أي هل من عودة إلى الحياة الدنيا حتى يصلح ما أفسده فيها ؟! والاجابة معروفة ..

« والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار »(٢) .

وأمثلة خلف الوعد في مجتمعنا كثيرة .. يذهب الخاطب إلى أهل الفتاة التي يريد أن يطلب يدها ، فيقولون له إن الفتاة تريد أن تكمل دراستها أولا ، فيتعهد لهم بأنه لن يحول بينها وبين إتمام دراستها ، فيوافقون على مضض نتيجة لإلحاح الخاطب ، ويتم الزواج .. وتفاجأ العروس بأن عريسها " لَحَسَ وعده " وبدأ في مضايقتها وملاحقتها لكي تتوقف عن الدراسة ، وحينما تذكره بوعوده وعهوده ، يرد عليها بلا حياء ولا خجل " غيرت رأيي " .. " هو كده وإن كان عاجبك " .. بالذمة أهذا

---

(١) الشورى : ٤٤ .

(٢) الرعد : ٢٥ .

رجل كامل الرجولة ؟! المصيبة أن مثل هذا الشخص الذى " يلحس وعوده " ولا يقيم لها وزنا ولا اعتبارا كثيرا ، وإن اختلف " السيناريو " كأن يكون أبدى تفهما لعدم الإنجاب خلال فترة معينة حتى تنتهى زوجته من دراستها .. أو يطالبها بأن تترك وظيفتها - إن كانت موظفة - ويكون قد وافق على استمرارها فى الوظيفة .. وأسوأ نقض للوعود ما كانت النية فيها مبيتة على عدم احترامها والالتزام بها ، ومن يفعل ذلك أقل رجولة من الذى يكون صادقا حين يبذل الوعد ثم يتراجع عنه ، وكلاهما سيء ، وهى مسألة تتصل بالدرجة ، لا أكثر ولا أقل .

الشخص الذى يتصف بالرجولة يحترم كلمته ويفى بما وعد به لأى شخص وفى أى مجال ، مهما تحمل فى سبيل احترام كلمته والوفاء بعهده من تبعات وتضحيات ، ويوجد مثل ألمانى فى هذا المعنى ترجمته " الرجل كلمة " أى أن الرجل ليس فى شكله أو هيئته ، وإنما فى احترامه لكلمته .. فالقيم الحضارية الأصيلة تأخذ من القيم الدينية التى جاء بها الأنبياء والرسل ولا تتناقض معها ...

وقال ربكم ادعونى

من أعظم الوشائج التى تربط العبد بربه وتدنيه منه هو الدعاء .. أيا ما كان ، سواء سأل الإنسان ربه المغفرة على ذنب ارتكبه ، أم سأله أن يرفع عنه كربا أحاط به ، أم سأله أن يشفيه من مرض يعانى منه ، أم غير ذلك من حوائج الإنسان ورغباته .. ورب الناس يدعونا أن نسأله ما نشاء ، وهو سبحانه مجيب الدعاء ، ولو أجاب رب العزة كل إنسان على وجه الأرض إلى مسألته ما نقص ذلك من ملك الله شيئا ، وفى ذلك يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيما يرويه عن ربه : " **يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل سائل منكم ما سأل ، ما نقص ذلك من ملكى** " وإجابته سبحانه للدعاء أمرها هين .

« وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليما قديرا »(١).

فأمره كما يقولون بين الكاف والنون . وعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " **ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له فى الآخرة ، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها** "

---

(١) فاطر : ٤٤ .

والدعاء فى جوهره عبادة لأنه تضرع إلى الله سبحانه ، واظهار لاحتياجنا إليه ، واعتمادنا عليه ، وإقرار بألوهيته التى لا شريك له فيها ، فإذا استحضر الداعى هذه المعانى وهو يدعو ربه فإن الله تبارك وتعالى حرى أن يستجيب :

«وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين» (١) .

وفى هذه الآية تأكيد على أن الدعاء هو فى حقيقته عبادة ، لأنه استشعار للعبودية لله عز وجل ، وأن الذين لا يدعون الله كأنهم يستكبرون عن عبادته فسيدخلون جهنم داخرين أى راغمين .. وفى هذا يقول الرسول " **الدعاء عبادة** " وفى حديث آخر " **الدعاء مخ العبادة** " أى أن الدعاء بالنسبة للعبادة بنفس أهمية المخ للإنسان .

وإذ نعلم قدرة الله على إنفاذ ما يريد :

« فعال لما يريد »(٢) .

فينبغى أن ندعوه ونحن على يقين من أنه سيستجيب لدعائنا ، ولذلك يقول الرسول - صلوات الله عليه وسلامه - " **ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة** " وخالقنا مجيب الدعاء " **إن الله رحيم كريم يستحى من عبده أن يرفع إليه يديه ثم لا يضع فيهما خيرا** " (حديث شريف) ،

---

(١) غافر : ٦٠ .

(٢) هود : ١٠٧ .

وفى حديث آخر مشابه يقول النبى " **إن الله حى كريم يستحى إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين** " ومن المستحب أن نستكثر من دعاء الآخرين لنا ومن دعائنا لهم " **استكثر من الناس من دعاء الخير لك ، فإن العبد لا يدرى على لسان من يستجاب له أو يرحم** " (حديث شريف) والله جل جلاله عند ظننا به ، فان أيقنا أنه سيستجيب لدعائنا فلن يخيب ظننا " **أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا دعانى** " (حديث قدسى) فلنحسن الظن بالله فهو سبحانه يقول وقوله الحق انه عند ظننا به :

« ومن أصدق من الله قيلا »(١).

ولما كان الدعاء عبادة ، بل هو استظهار للعبودية لله ، فإن أكثر صور العبودية هى السجود له سبحانه .. فإذا دعوناه حال السجود كان ذلك تعبيرا عن منتهى العبودية لبارئنا .. وعن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - " **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء** " فإذا كان الله يستحى أن يرد يدين ترتفعان إليه بالدعاء فأولى بالإجابة أن ندعوه ونحن له ساجدون ..

وأفضل أوقات الدعاء هى فى الثلث الأخير من الليل ، فعن رسول الله قال : " **يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخرفيقول :**

---

(١)النساء:١٢٢.

من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ حتى يضىء الفجر " .

وقد أثنى إله الناس على الذين يقومون شطرا من الليل فى وقت السحر للعبادة والاستغفار ، ووقت السحر هو آخر الليل قبيل الفجر :

« إن المتقين فى جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » (١).

وفى الحديث القدسى " يا عبادى كلكم مذنب إلا من عافيته فاسألونى المغفرة أغفر لكم ، ومن علم منكم أنى ذو قدرة على المغفرة واستغفرنى بقدرتى غفرت له " ، وعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب "

قد علمنا مما تقدم أن الدعاء أمر يحبه الله ، ويستجيب له ، ويثيب عليه ، فلنكثر من الدعاء والاستغفار :

« هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين » (٢) .

---

(١) الذاريات : ١٥–١٩ .

(٢) غافر : ٦٥ .

ويستوقفني في هذه الآية الكريمة أن الله تبارك وتعالى استخدم اسما من أسمائه الحسنى في مقام الدعاء هو " الحى " فهل هذا الاسم من الأسماء التى إذا دعى به سبحانه أجاب ؟ وإذا سئل به أعطى ؟ هناك آية أخرى ورد بها هذا الاسم فى مقام التوكل عليه والتسبيح بحمده :

« وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده »(١) .

وآية الكرسى التى وصفها الرسول - صلوات الله عليه وسلامه - بأنها أفضل آية فى كتاب الله ، ورد فيها هذا الاسم مضافا إليه القيوم :

« الله لا إله إلا هو الحى القيوم »(٢) .

وعن أسماء بنت يزيد قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول فى هاتين الآيتين :

« الله لا إله إلا هو الحى القيوم » ، « الم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم »(٣) .

أن فيهما اسم الله الأعظم .. وفى سورة طه :

« وعنت الوجوه للحى القيوم »(٤) .

أى أذعنت وخضعت ، وقد روى أن اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب فى السور الثلاث المتقدمة .. والحى صفة من صفات الله وتعنى أنه الحى بذاته الذى لا يموت أبدا ، والقيوم

---

(١) الفرقان : ٥٨ .
(٢) البقرة : ٢٥٥ .
(٣) آل عمران : ١-٢ .
(٤) طه : ١١١ .

من أسماء الله تعالى وهو صيغة مبالغة من القيام على أمور الكون والخلائق .

أيها القراء الأعزاء والقارئات العزيزات .. ادعو الله إن شئتم بالحى القيوم .

« ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم »(١) .

---

(١) غافر : ٧ .

وتوكل على الله

ما معنى التوكل على الله ؟ هو الاستسلام إليه والوثوق فيه والاعتماد عليه ، والمؤمن إذ يسلم أمره لله فيما يأتى وفيما يدع ، فهو يأوى إلى ركن شديد ويلجأ إلى حصن حصين ، لا يستخفه الفرح ولا ينكفىء على الحزن ، ولا تستبد به الحيرة إزاء أمر ينبغى أن يتخذ فيه قرارا ، فالتسليم لله والوثوق فيه والاعتماد عليه يعفيه من هذا ويغنيه عنه .. فهو يعلم ، بل يوقن بأن الأمر كله لله وبيده :

« ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون » (١) .

أى أن الله لا يعزب عن علمه شيء مما نصادفه ونلقاه فى حياتنا :

« وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير » (٢) .

فإذا كانت اقدارنا صائرة إليه ، ومصائرنا بيده ، وكنا متوكلين عليه كما أمرنا ، فلن يكلنا إلى أنفسنا ولن يتخلى عنا ..

والإنسان فى هذا العصر أكثر ما يكون احتياجا إلى التوكل على الله وتفويض الأمر إليه ، فالأمور أصبحت معقدة

---

(١) هود : ١٢٣ .

(٢) الحديد : ٤ .

متشابكة ، والإختيارات متعددة ، وفى كثير من الأحيان لا يعرف الإنسان ماذا يأخذ وماذا يترك ، وماذا يختار لنفسه أو لولده أو لابنته ، والاختيار عذاب ، وهناك تعبير المانى ترجمته "معاناة الاختيار" وبالعربية العامية نقول " يا عذابك يا مختار ! " أى أن الذى أمامه عدة بدائل عليه أن يختار من بينها الصالح له فهو يمر بمعاناة قد تطول وقد تقصر ، والواحد منا يتمنى أحيانا لو لم يكن لديه خيار .. فذلك أسهل من المفاضلة بين البدائل ، وقد تكون المفاضلة من أصعب ما يمكن ، لا سيما لو لم تتوافر لدى الإنسان المعلومات الكافية ، وحتى لو توافرت معلومات كافية ، فربما لا تكون دقيقة بنسبة ١٠٠٪ . وحتى لو كانت دقيقة بنسبة ١٠٠٪ الآن فقد تتغير الظروف التى على أساسها كانت المفاضلة ، وبالتالى يكون الاختيار خاطئا فى حينه ، وأمامنا أمثلة لا تحصى ولا تعد لمجالات الاختيار التى نقابلها أو يقابلها ابناؤنا وبناتنا مثل حال الحاصلين على شهادة الثانوية العامة الذين يواجهون مشكلة اختيار الكلية أو المعهد العالى الذى يلتحقون به .. فما هو الحل ؟! الحل هو أن نبذل وسعنا فى عملية الترجيح ويمكننا أن نتشاور مع من نرى فيه رجاحة العقل ، واتساع التجربة ، وسلامة القصد ، فلعل هذا التشاور يجلى لنا بعض الجوانب التى كانت خافية علينا ، والتى تعيننا على تحديد الاتجاه أو تسهيل الاختيار .. فاذا ما قررنا - والقرار لابد فى النهاية أن يكون للشخص المعنى وليس لغيره - إذا قررنا وعزمنا فعلينا أن نتوكل على الله ، والله يوجه رسوله الكريم إلى هذا المنهج السليم فى أمور المسلمين :

« وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين »(١) .

وهو يصلح أن يكون منهاجاً لنا فى كل أمورنا ، أن نفكر مع أنفسنا أولا ثم نستعين بمن لديهم الخبرة والقصد السليم سواء كانا الأبوين - أحدهما أو كلاهما - أو أحد الأقارب أو الأصدقاء أو المعارف ، ونناقشهم فيما يعن لنا ، ثم نتخذ القرار بأنفسنا ، ولا نترك القرار لأحد يتخذه نيابة عنا ، وإذا لم نجد أحدا نستشيره ممن نثق فيه وفى سلامة تفكيره فعلينا أن نثق فى أنفسنا ونتخذ القرار الذى نراه مناسبا .. ففى المحصلة النهائية لن يكون الا ما قدر لنا ، ونكل الأمر لله :

« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون »(٢) .

وإذا توكلنا على الله كفانا :

« وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا »(٣) .

وقد جاء هذا النص أيضا فى سورة الأحزاب فى الآية ٣ والآية ٤٨ وتكرار النص يعطى دلالة على أن رب العزة يريد أن يلفتنا إلى أن التوكل عليه يكفينا ، فعبارة " وكفى بالله وكيلا " تبعث على الراحة والاستقرار النفسى ، فحين يكون الله عز وجل وكيلا عنا وحافظا ومعينا لنا فلن يكون هناك شىء ما

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .

(٢) التوبة : ٥١ .

(٣) النساء : ٨١ .

- أيا ما كان - يبعث على القلق أو الحيرة أو الاكتئاب فى حياتنا بل الرضا والتسليم والطمأنينة .

وهنا شيء ينبغى توضيحه ، وهو أنه مع التوكل على الله ، والركون إليه ، فقد يأتينا ما لا نحب ، وهذا ليس معناه أبدا أن الله قد تخلى عنا ، أو أن ما لا نحب هو بالضرورة شر لنا ، فنحن نعلم بأن ما نحسبه شرا قد يكون خيرا لنا :

« وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون »(١) .

فيجب أن لا نتعجل الحكم على ما يصادفنا فى أمورنا الحياتية ونصبر .. والصبر مطلوب على المكاره على أية حال .. فإما أن يكون المكروه خيرا نحسبه شرا ، أو أن يكون اختبارا ليرى الله حقيقة إيماننا .. فوجودنا فى هذه الحياة الدنيا الغرض الأساسى منه هو أن نبتلى ونفتن سواء بالشر أو بالخير .

« ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون »(٢) .

والله يختبر أولياءه وأحباءه أيضا بالمحن والمكاره ، فقد ابتلى الرسول الكريم بفقد عمه أبى طالب الذى كان - صلى الله عليه وسلم - فى جواره وحمايته ، وفقد زوجه الأولى السيدة خديجة أم المؤمنين والتى كانت له سكنا وموئلا فى بداية دعوته ، فقدهما فى عام واحد حتى أنه - صلوات الله عليه وسلامه -

---

(١) البقرة : ٢١٦ .

(٢) الأنبياء : ٣٥ .

كان يسميه " عام الحزن " ولكنه صبر واحتسب (احتسب : صبر على ما أصابه مدخرا أجره عند الله) ولم يهتز أو يفقد توازنه .

ومما تقدم يتضح لنا أن التوكل على الله هو الملاذ الآمن لنا ، وهو يعصمنا من الحيرة والتردد ، ويسهل علينا اتخاذ القرار فيما يعنينا من أمور حياتنا ، فحسبنا أن نتوكل عليه سبحانه :

« قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون »(١) .

---

(١) الزمر :٣٨.

الصلاة والتسبيح

تسبيح الله أو التسبيح لله هو تعظيمه وتمجيده ، مقترنا بالحمد والثناء عليه :

« فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون » (١) .

وهو ليس قاصرا على الإنسان ، بل كل ما فى الوجود يسبح لله .. كل الكائنات التى نحسب أنها غير مدركة تسبح له ولكن لا نفقه تسبيحها :

« تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » (٢) .

حتى الجماد ، أو ما نعتبره جمادا ، يسبح لله بطريقته :

« وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين » (٣) .

والملائكة تسبح لله وتقدس له :

« ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » (٤) .

والتقديس لله هو تعظيمه وتوقيره ، والملائكة حملة العرش والحافين به ، يسبحون له ويستغفرون لنا :

---

(١) الروم : ١٧ – ١٨ .

(٢) الإسراء : ٤٤ .

(٣) الأنبياء : ٧٩ .

(٤) البقرة : ٣٠ .

« الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم »(١).

فبالاضافة إلى استغفار الملائكة المكرمين لنا ، فإنهم يسألون الله أن يدخلنا جنات عدن نحن وآباءنا وازواجنا وذرياتنا ، وأن يقينا الوقوع فى المعاصى ، فهذه الوقاية رحمة بنا وفوز لنا فى الآخرة ..

والتسبيح تشترك فيه حتى الظواهر الطبيعية مثل الرعد :

« ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته »(٢).

فالتسبيح لله ترنيمة تملأ أرجاء الكون كله ، وتشهد له بالألوهية والوحدانية والقدسية .. وهو أمر إرادى بالنسبة للإنسان ، يميز بين الذاكر لله وبين المنشغل عنه بنفسه أو بماله أو بولده ، أو بزينة الحياة الدنيا وزخرفها ..

---

(١) غافر : ٧-٩.

(٢) الرعد : ١٣.

ولعظم أجر التسبيح الإرادى لله عز وجل ، يدعو الله المؤمنين أن يسبحوه كثيرا حتى ينالوا أجرا عظيما ، وينبئهم بأنه يصلى عليهم وملائكته رحمة بهم :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا . هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما . تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما »(١).

وصلاة الله على عباده هى ذكرهم بالثناء عليهم ، وفى الحديث القدسى " أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملأ خير منهم " أما صلاة الملائكة البررة ، فهى بالاستغفار لنا واسترحام الله علينا ، كما وصى ربنا رسوله بالصلاة علينا :

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم »(٢).

أى أن الصدقات فيها تطهير للنفس وتزكية لها ، وصلاة الرسول أى دعاؤه للمؤمنين ينزل الله بها سكينته عليهم ..

---

(١) الأحزاب: ٤١-٤٤.

(٢) التوبة: ١٠٢.

والتسبيح لله فى وقت الرخاء سبب من أسباب غوث الله للمؤمن فى وقت الشدة ، مثلما حدث ليونس عليه السلام حين التقمه الحوت (أى ابتلعه) :

« فلولا أنه كان من المسبحين . للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون »(١).

والصلاة هى أتم صور التسبيح لله عز وجل ، فالتكبير فى بدايتها تسبيح ، فعندما نقول " الله أكبر " فإنما نعنى أن الله أكبر من كل أحد ومن كل شىء فى هذا الوجود ، فهو خالق كل شىء ، ومالك كل شىء ، وبيده مصير كل شىء ، وفاتحة الكتاب فى نصفها الأول ذكر الله بالحمد " **الحمد لله رب العالمين** " يعقبها ذكر قدرته علينا ورحمته بنا " **الرحمن الرحيم** " ثم استحضار أنه المتصرف فينا يوم القيامة " **مالك يوم الدين** " ، أما النصف الثانى من الفاتحة فهو الاستعانة بالله لكى يهدينا الصراط المستقيم ، الذى يوصلنا إلى الجنة ، ويباعد بيننا وبين النار " **إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** " هذا عن فاتحة الكتاب التى نقرأها فى كل ركعة ، ثم التسبيح حال الركوع " سبحان ربى العظيم " كذلك التسبيح حال السجود " سبحان ربى الأعلى " وفى الفواصل نسبح "الله أكبر" فيما عدا حين ننتصب واقفين بعد الركوع نقول " سمع الله لمن حمده " للتذكير بأن الحمد هو

---

(١) الصافات: ١٤٣-١٤٤.

مدخل استجابة الله لنا ، وأما التشهد فهو يشتمل على التحية لله ، والسلام على رسوله وعلى المؤمنين ، ثم نطق الشهادتين ، كما يشمل التشهد الأخير الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وطلب البركة له وآله ، أسوة بإبراهيم عليه السلام وآله ، ثم نختم التشهد بالتسبيح مرة أخرى " إنك حميد مجيد " أى إنك يا رب أهل للحمد وأهل للتمجيد .

وأما قراءة شيء من القرآن فى الركعتين الأوليين من كل صلاة - بعد الفاتحة - فقد تُرِكَ لنا اختيار الآيات التى نقرأ بها .. وهناك آيات فيها التسبيح ، وآيات فيها الحمد ، وآيات فيها الدعاء ، وآيات تشمل التسبيح والحمد معا .. ومن آيات التسبيح التى تستظهر قدرة الله المتناهية :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير »(١).

ومن الآيات التى يستعين فيها المؤمن بربه لكى يكون شاكرا لأنعمه :

« رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين »(٢).

---

(١) الاسراء : ١ .

(٢) النمل : ١٩ .

وأيضا :

« رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىَّ وعلى والدَىَّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين »(١) .

وآيات الدعاء متعددة منها :

« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »(٢) .

والآية الكريمة :

« ربنا لا تُزِغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب »(٣) .

وأيضا :

« ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين »(٤) .

وآيات جمعت بين التسبيح والحمد :

« سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين »(٥) .

وكتاب الله زاد لا ينضب معينه ، ولكل منا أن يختار ما يقرأ به حسبما يجد فى نفسه شوقا إلى قراءته ..

---

(١) الأحقاف : ١٥ .
(٢) البقرة : ٢٠١ .
(٣) آل عمران : ٨ .
(٤) آل عمران : ١٤٧ .
(٥) الصافات : ١٨٠-١٨٢ .

وهكذا نرى أن الصلاة جمعت فأوعت ، وبلغت الذروة في شكلها ومضمونها : الشكل خضوع وإذعان لله عز وجل ، يتمثل في الركوع والسجود .. حتى كيفية الوقوف تنم عن الخشوع بشكل لا ينبغي لغير الله ، وأما المضمون فهو التسبيح والحمد والدعاء ..

على أن التسبيح يشمل أيضا تنزيه الله عما ينسب إليه ولا يليق به ، من مثل أنه اتخذ ولدا :

« **إنما الله إلهٌ واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السمٰوات وما في الأرض** »(١) .

أو أن له شركاء :

« **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسمٰوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** » (٢) .

ولفضل التسبيح ، أوصى الله رسوله الكريم بالتسبيح على مدار اليوم:

« **فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن أناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى** »(٣) .

ولعلك ترضى:أي لعل جزاء هذا التسبيح في الجنة يرضيك ..

---

(١) النساء : ١٧١ .

(٢) الزمر : ٦٧ .

(٣) طه : ١٣٠ .

وأنت خير الراحمين

تدلنا الآية الكريمة على أن الله تبارك اسمه هو خير الراحمين ، حتى أنه يدعو عباده أن يسترحموه بهذه الصفة :

« وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين » (١) .

وهى الصفة التى أوجبها رب العزة على نفسه :

« كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم » (٢) .

هذا بالنسبة لمغفرة الذنوب ، أما لمن تكون الرحمة إطلاقا فقد اشتملت عليها الآية الكريمة :

« ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » (٣) .

وهى لا تكون لمن لا يؤمن بآيات الله ولقائه :

« والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتى وأولئك لهم عذاب أليم » (٤) .

أى هؤلاء لا أمل لهم فى رحمة الله بل ينتظرون عذابه ..

والرحمة أو التراحم بين الناس من أنبل الصفات التى يمكن أن يتصف بها الإنسان وتميزه عن غيره ممن اتصفوا بالغلظة والقسوة وبلادة الحس ، والإنسان الذى يتصف بالرحمة هو من

---

(١) المؤمنون : ١١٨ .

(٢) الأنعام : ٥٤ .

(٣) الاعراف : ١٥٦ .

(٤) العنكبوت : ٢٣ .

رق قلبه للضعفاء وذوى الحاجة ، يقدم لهم ما يستطيع من ماله ، ويوصى غيره بأن يقدموا لهؤلاء وأمثالهم ما يستطيعون .. فالعين تراهم ، واللسان والشفتان تتحدثان إليهم بالمواساة ، وإلى أهل الخير بالمشاركة .. وسورة البلد تحض على ذلك فى قول الله تبارك وتعالى عن الإنسان :

« ألم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين . وهديناه النجدين . فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو إطعام فى يوم ذى مسغبة . يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة . ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة . أولئك أصحاب الميمنة » (١).

فالله جل جلاله بعد أن تحدث عن العين وما تراه من حال هؤلاء المساكين ، واللسان والشفتين فى الكلم الطيب ، يتحدث عن اقتحام العقبة ، والعقبة هى الإمساك عن الانفاق فى وجوه الخير ، فلو تخطى الإنسان هذه العقبة واقتحمها وجاد بما عنده فى سبيل عتق رقبة ، أو إطعام يتيم من ذوى قرباه ، أو مسكين مظهره يدل عليه ، وكان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر على ما يلقاه الإنسان فى الدنيا من تعب ومشقة ، ثم كان من الذين تواصوا بالمرحمة أى أوصى غيره بالرحمة بالناس .. هؤلاء المؤمنين الصابرين الرحماء هم أهل الميمنة ، أى أصحاب اليمين ، واقرأوا عن النعيم الذى يلقاه هؤلاء الرحماء فى الجنة :

---

(١) البلد : ٨-١٨ .

« وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . فى سدر مخضود . وطلح منضود .وظل ممدود .وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة . إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكارا . عربا أترابا . لأصحاب اليمين »(١).

وعلى عكس الرحماء من البشر ، يوجد قساة القلوب غلاظ الأكباد الذين يتعاملون مع الناس بالقسوة والغلظة والوجه العبوس .. هؤلاء لا يرجون رحمة الله فالله يرحم من عباده الرحماء " الراحمون يرحمهم الرحمن " (حديث شريف) ومن هؤلاء القساة من يغلظون القول ، وقد تمتد أيديهم بالبطش إلى من يعملون فى خدمتهم فى المنازل .. يعاملونهم وكأنهم ليسوا آدميين مثلهم .. يعطونهم من الطعام الفتات ، وينيمونهم على الأرض ، ويعاقبونهم على ما يبدر منهم من هنات ، وأحيانا على ما لم يبدر منهم ، ولا يترفقون بهم " من يحرم الرفق يحرم الخير كله " (حديث شريف) .

ومن هؤلاء القساة غلاظ القلوب الحرفيون الذين يضربون الصبيةممن يعملون فى ورشهم ضربا مبرحا بلا موجب ولا ضرورة ولا رحمة ، وأحيانا ما يشجون رؤوسهم نتيجة لضربهم فوق رؤوسهم بآلة حادة كحديدة أو نحو ذلك ، وينظرون إلى الدم الذى يسيل منهم ويغطى وجوههم ، دون اكتراث ودون مبالاة .

---

(١) الواقعة: ٢٧-٣٨.

ومن هؤلاء القساة أيضا من يضربون الحيوان بلا رحمة مثل سائقى عربات الكارو الذين يضربون الخيل التى تجر عرباتهم بالكرباج وكأن بينهم وبين هذا الحيوان ثأر .. وددت لو كان فى استطاعتى أن أمسك بواحد من هؤلاء وآخذ الكرباج من يده ، وأنهال به ضربا على جسده حتى يحس بما يحس به الحيوان المسخر له ، والذى يتألم ولا يستطيع الدفاع عن نفسه .

ومن هؤلاء .. الموظف الذى يتعامل مع الجمهور ويتلذذ فى إعاقة إنهاء أوراقه بحجج ما أنزل الله بها من سلطان .. منها مطالبة صاحب المعاملة أن يأتيه بأصل مستند وليس صورته أو حتى صورته الموثقة .. وقد يكون هذا المستند لا أهمية له فى موضوع المعاملة ، وقد يكون الحصول على هذا الأصل غير ميسور ، أو يمكن الحصول عليه ولكن بمعاناة شديدة أو سفر بعيد مع ضيق الوقت .. هذا مجرد مثال واحد من أمثلة التعنت الذى يمارسه بعض الموظفين الذين خلت قلوبهم من الرحمة فى التعامل مع الناس ، والذين يتفننون فى اضاعة وقت واهدار مال واستنزاف جهد الماثل أمامهم من الناس ، مع أن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يقول : " **يسروا ولا تعسروا** " هؤلاء القساة من الموظفين سيعاملهم الله من جنس معاملتهم للناس .. وسيعضون الأنامل من الندم على ما قدموا من الشر ، وما منعوا من الخير .. فمن لا يَرحم لا يُرحم .. فبالله كيف يسأل أحدهم ربه أن يرحمه بينما هو لم يعرف الرحمة ولم يمارسها

مع من يقدر عليه ! وعن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : بينما رجل يمشى فى طريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج منها فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب مثل الذى كان بلغ بى ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ، ثم رقى فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له – بينما « عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا هى أطعمتها وسقتها إذ هى حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » (حديث شريف) ..

أيها القراء الأعزاء ، أيتها القارئات العزيزات : اقرأوا إن شئتم قول الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – " لا تنزع الرحمة الا من شقى " ..

أصحاب الجنة هم الفائزون

تفكر أيها القارىء العزيز والقارئة العزيزة فى الآية الكريمة :

« لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون »(١).

ولسوف تجدون أنها تسلط الضوء فى إيجاز بليغ على المشهد الأخير من القصة :

« فريق فى الجنة وفريق فى السعير »(٢).

وأن أصحاب الجنة هم الذين فازوا .. هذا هو المشهد الذى تنسدل عليه الستار إلى الأبد ..

والذين يتغافلون عن هذه " التقسيمة " أو يطرحونها جانبا لفرط انشغالهم بالدنيا وما فيها ، وفى التنافس على حظوظها ، فسوف يأتيهم نبأ ما كانوا عنه غافلين .. عندما يجدون أنفسهم فى فريق السعير .. فريق الخاسرين :

« قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين . لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون »(٣).

فإذا لم يتقوا ربهم بعد هذا التحذير ، فالله يقول لهم :

« اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير »(٤).

---

(١) الحشر : ٢٠ .
(٢) الشورى : ٧ .
(٣) الزمر : ١٦ .
(٤) فصلت : ٤٠ .

لأن الذى يختار طريق النار :

« لن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين »(١).

هناك أقوام - والعياذ بالله - لو رأوا الجنة والنار بأعينهم لظلوا مقبلين على الدنيا غير عابئين بالأخرة لأن الدنيا تستهويهم :

« ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين . بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون »(٢).

أى أن الله يعلم يقينا بأنهم بعد أن رأوا النار وقاسوا لهيبها فلو ردوا إلى الدنيا مرة أخرى لعادوا إلى ما كانوا عليه .. وفى سورة المؤمنون يخاطبون ربهم من جوف الجحيم :

« قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فانا ظالمون . قال اخسأوا فيها ولا تكلمون . إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا أمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون . إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون »(٣).

---

(١) آل عمران : ١٤٤.

(٢) الأنعام: ٢٧-٢٨ .

(٣) المؤمنون: ١٠٦-١١١ .

وهكذا فليست هناك فرصة أخرى لمن شغلته دنياه عن أخرته ومات وهو على هذه الحال ، ولسوف يقول البعض منهم للبعض الآخر :

« سـواء علينا أجـزعنا أم صـبـرنا مـا لنا من محيص » (١) .

وما لنا من محيص أى ليس لنا من مخرج مما نحن فيه ..

والنار شىء رهيب وعذابها أليم .. والذين أوقعهم سوء عملهم فيها يلقون عذابا ، ومهانة فوق العذاب :

« يصب من فوق رؤسهم الحميم . يصهر به ما فى بطونهم والجلود . ولهم مقامع من حديد . كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق » (٢) .

والحميم لعله يشبه ما يخرج من حمم البراكين ، والمقامع هى السلاسل التى يسلك فيها أهل النار .

بينما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاءون مكرمين :

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير » (٣) :

---

(١) إبراهيم : ٢١ .

(٢) الحج : ١٩ - ٢٢ .

(٣) الشورى : ٢٢ .

فمع أى الفريقين تحب أن تكون أيها القارىء العزيز ؟! الأمر مازال فى يدك .. لأن الله تواب رحيم :

« **فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم** »(١) .

أما الذين لا يكترثون بهذا كله ، فهؤلاء لا يعبأ بهم رب العزة :

« **قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما** »(٢) .

أى أما وإنكم قد كذبتم فسوف يكون عذابكم جزاء تكذيبكم أمرا لازما لا مفر منه ، حتى أنهم وهم يتعذبون لا يثيرون شفقة أهل الجنة :

« **ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين . الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا** »(٣) .

ولكن لماذا يورد الله جل جلاله هذا المشهد وغيره من مشاهد العذاب ؟ كما يورد الحوار بين أهل النار وأهل الجنة ؟ والجواب أنه لكى يعتبر من له نظر :

« **فاعتبروا يا أولى الأبصار** »(٤) .

---

(١) المائدة : ٣٩ .

(٢) الفرقان : ٧٧ .

(٣) الأعراف : ٥٠ – ٥١ .

(٤) الحشر : ٢ .

لذلك فإنه سبحانه يحذرهم حتى يصححوا المسار .. ويعيدوا ضبط الاتجاه ، فيكون إلى الجنة لا إلى السعير .. فهو تباركت آلاؤه ليس متحفزا للعقاب ولا للعذاب :

« ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتكم وآمنتم »(١) .

بل إنه يحفزنا لكى ننجوا بأنفسنا من العذاب الشديد الذى لا طاقة لنا به :

« إن هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد »(٢) .

والضمير " هو " يعود على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، أى أنه يحذركم وينذركم لتتبينوا .. حتى لا يكون لكم حجة على الله يوم القيامة :

« لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »(٣) .

ذلكم الله ربكم يريد أن يرحمكم ويتوب عليكم ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويدخلكم جنته ، وينجيكم من عذاب الحريق .. أفلا تنتهون ؟! .

صدقونى أيها القراء الأعزاء .. أنا لا أفهم ماذا فى الدنيا من النعيم الذى يصرف الإنسان عن التفكير فيما بعد الموت ؟! هل يشك أحد فى الموت ؟ وأن كلا منا له موعد معه لن يخلفه ؟! وهل إذا تغافلنا عن هذه الحقيقة – التى لا جدال فيها ولا نكران لها – فهل لا ينتبه إلينا ملك الموت الذى وكل بنا ؟! :

---

(١)النساء:١٤٧ .

(٢)سبأ:٤٦ .

(٣)النساء:١٦٥ .

« قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون »(١).

" وكل بكم " أى بقبض أرواحكم ، أم اننا كالنعامة التى تخفى رأسها فى الرمال حتى لا يراها أحد ؟! التغافل عن حقيقة الموت لن يفيدنا شيئا .. بل يضرنا بكل تأكيد .. لأننا نرحل فى طريق اللاعودة غير مستعدين ولا متزودين بما ينفعنا يوم يقوم الناس لرب العالمين :

« وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب »(٢).

فمتاع الدنيا قليل - وإن كثر فى نظر البعض منا بتزيين الشيطان - لكى يصرفنا عن الاستعداد لليوم الموعود .. اليوم الذى نرى فيه بوضوح وجلاء المشهد الذى طالما غفلنا عنه أو غيبناه عن مخيلتنا لاهين أو معاندين :

« لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد »(٣).

وبصر حديد أو بصر حاد يعنى بصر قوى نافذ .. أليس الغافلون أو المعاندون قصيرى النظر ؟! بل أقول أليسوا معدومى النظر ؟! .

---

(١) السجدة : ١١ .

(٢) البقرة : ١٩٧ .

(٣) ق : ٢٢ .

يا قوم .. دخول الجنة ليس صعبا أبدا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .. دخول الجنة يتطلب الايمان بالله ورسله واليوم الآخر .. هل هذا صعب ؟ ثم عمل الصالحات سواء كانت أداء الفرائض من صلاة وصيام وزكاة وحج لمن استطاع إلى الحج سبيلا .. هل هذا كثير على الجنة ؟ أم كان حسن التعامل مع الناس والشعور تجاههم بالأخوة الإنسانية .. بالرفق .. بالرحمة .. بعدم التعالى والتكبر عليهم .. بعدم أكل حقوقهم .. بالاحسان إليهم ، بالمساعدة أو بالصدقة .. هل هذا أمر بالغ الصعوبة ؟أبدا ..بل إنه من الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، والتى يفعلها صاحب الفطرة السوية دون مجهود ودون تكلف .. ثم إن الله يغفر الذنوب التى ارتكبناها ونتوب عنها :

« وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » (١) .

فمن لم يهتد بعد كل ذلك فـ :

« أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار » (٢) .

أى ما أشد حاجتهم إلى الصبر على عذاب الحريق فى النار .. ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين ...

---

(١) طه : ٨٢ .

(٢) البقرة : ١٧٥ .

مخلصين له الدين

من دعاء صلاة العيدين " لا اله الا الله . ولا نعبد إلا إياه . مخلصين له الدين ولو كره الكافرون " ومخلصين له الدين توضح معناها الجملتان السابقتان عليها : الأولى : إننا نؤمن بأنه لا إله إلا الله ، والثانية : أننا نفرده وحده بالعبادة .. فلا نعبد أحدا ولا شيئا سواه .. وإفراد الله وحده بالعبادة هو إخلاص الدين لله .. أن نتوجه إليه بجماع قلوبنا خوفا منه وطمعا فى رحمته ، ورهبة له ورغبة فيما عنده من حسن الثواب وهو الجنة ..

وهنا يعن لى أن أنبه القراء الأعزاء إلى خطأ شائع يقع فيه البعض ،إذ يقول أحدهم لشخص ما "أنا معتمد على الله وعليك " هذه صورة من صور الشرك الخفى ، وإن كانت غير مقصودة .. فالاعتماد لا ينبغى أن يكون الا على الله ، فهو المانح والمانع ، وأمره لا يعترضه أحد ولا يوقفه شىء :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا »(١) .

والمعنى أن الذى يتقى الله يفرج كربه ويغيثه ، ويوجد له مخرجا من مشكلته التى تنغص عليه حياته ، ولعلنا نذكر دعاء أجدادنا وجداتنا : « روح ربنا يسلك لك طريقك » أى يزيح من

---

(١) الطلاق : ٢-٣ .

أمامك العراقيل والعقبات التى تعترض طريقك ، وهذا يدخل فى معنى الآية الكريمة ، وإن لم يحط به .. والذى يجد نفسه فى موقف صعب ، يصفونه عادة بأنه " فى موقف لا يحسد عليه " فحسبه الله إن أخلص له الدين .. فأمر الله نافذ لا محالة " إن الله بالغ أمره " وإذ يكشف الله عن الإنسان ضره ويخرجه من المأزق الذى كان فيه ، ويرزقه من حيث لم يكن يخطر له على بال ، فذلك جزاء وقدر من يتقى الله ويتوكل عليه " قد جعل الله لكل شىء قدرا " فعلى من يقول " أنا معتمد على الله وعليك " أن ينتهى عن هذا القول ، وليقل - إن كان لابد فاعلا - أنا معتمد على الله ثم عليك " لأن " ثم " بخلاف واو العطف التى تضع الله ومن تقصده لقضاء حاجتك وكأنهما متساويان .. حاشا لله ، وكونك تطلب شيئا من شخص تقصده لقضاء حاجة لك ، لا يعنى ، ولا ينبغى أن يعنى ، أنك تركن إليه مع الله سبحانه ، لأن الله هو الذى يقدر على قضائها لك ولا أحد سواه ، وأنت إذ تلجأ إلى واحد من الناس فى قضاء حاجة لك أو لأحد من أهلك ، فإنك إنما تأخذ بالأسباب لا أكثر ولا غير .. " ومن يتوكل على الله فهو حسبه " أى يكفيك الله إن توكلت عليه ..

نعود إلى إخلاص الدين لله ، حيث يقول جل فى علاه :

« فاعبد الله مخلصا له الدين . الا لله الدين الخالص »(١) .

---

(١) الزمر : ٢-٣ .

أي له وحده العبودية الكاملة الخالصة من شوائب الشرك :

« أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم »(١) .

والدين القيِّم هو الدين الصحيح القويم ، كما يقول الله لرسوله الكريم :

« قل الله أعبد مخلصا له دينى »(٢) .

وتعنى أننى أعبد الله متوجها إليه بكل جوارحى ، لا أتجه إلى سواه ، ولا أعبد إلا إياه ، أنزل على حكمه ، وأرضى بقضائه وقدره .. كما امتدح الله موسى عليه السلام لكونه مخلصا :

« واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا »(٣) .

والذين يخلصون دينهم لله لا يفلح معهم كيد إبليس ، وذلك باقرار إبليس نفسه :

« قال رب بما أغويتنى لأزين لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين . قال هذا صراط على مستقيم . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين . وإن جهنم لموعدهم أجمعين »(٤) .

---

(١) يوسف : ٤٠ .

(٢) الزمر : ١٤ .

(٣) مريم : ٥١ .

(٤) الحجر : ٣٩-٤٣ .

وقد تحدث رب العزة عما أعده لعباده المخلصين. فى قوله تعالى :

« إلا عباد الله المخلصين . أولئك لهم رزق معلوم . فواكه وهم مكرمون . فى جنات النعيم . على سرر متقابلين . يطاف عليهم بكأس من معين . بيضاء لذة للشاربين . لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون . وعندهم قاصرات الطرف عين »(١).

« لا فيها غول » أى لا يعقبها صداع ، «ولا هم عنها ينزفون » أى لا يفقدون وعيهم واتزانهم ، « وقاصرات الطرف » هم الحوريات الحسان اللاتى يقصرن نظراتهن على أزواجهن . والله جل وعلا يرشد عباده أن يدعوه فى أمورهم مخلصين له الدين حتى يستجيب لهم :

« هو الحى لا اله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين »(٢).

والحى من أسماء الله الحسنى ، ولعله يكون اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به استجابَ (والله أعلم) فادعوه وأنتم موقنون بالإجابة ، فإنه هو العاطى الوهاب ، وهو جدير بالحمد والثناء ، ولذلك كان ختام الآية الكريمة " الحمد لله رب العالمين " مناسبا تماما لما قبله ..

---

(١) الصافات: ٤٠-٤٨.

(٢) غافر: ٦٥.

وكان الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يناجى ربه بقوله " اللهم لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك " وهذه العبارة تتماشى مع الآية الكريمة :

« وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها »(١).

أى أن أنعمه أكثر من أن نحصيها أو نحصرها عدا ، وأكبر من قدرتنا على إيفائها ما تستحقه من الحمد والثناء ..

أيها القراء الأعزاء والقارئات العزيزات

ادعو الله مخلصين له الدين :

« ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا »(٢).

« ويهىء لكم من أمركم مرفقا » أى يكن لكم عونا وسندا ، فهو سبحانه نعم السند ونعم المعين لمن استعانه على أموره مخلصا له الدين .. ألا لله الدين الخالص ...

---

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) الكهف: ١٦.

ورضوان من الله أكبر

الرضا شيء مهم بالنسبة للإنسان ، والإنسان يحب أن يرضى الآخرين .. زوجته .. أبناءه أو ابن من أبنائه أو بنت من بناته .. والديه .. رئيسه المباشر .. مدير الشركة التى يعمل بها .. رئيس مجلس الإدارة ، الخ .. قائمة لا تنتهى من الأشخاص الذين يحب الفرد منا أن يرضيهم ، وكلما زادت أهمية الشخص أو مكانته بالنسبة لنا كلما تفانينا فى إرضائه ، وكلما سعدنا برضاه ..

فما بالنا برب العالمين ؟! الذى أوجدنا .. ولو لم يخلقنا لما كنا .. هذا بادىء ذى بدء .. ثم إنه منحنا ما نحن فيه وعليه فى هذه الدنيا ، والأهم من ذلك كله أنه وحده يملك أن يدخلنا جنته ، كما يملك أن يعذبنا بناره والى غير نهاية لأيهما .. اذن فهو سبحانه أهم من يعنينا إرضاءه ، وأهم من يعنينا رضاه عنا .. هل يختلف معى أحد فى ذلك ؟! ربما ! لأن هناك أناس (والعياذ بالله) لا يرون ولا يسمعون :

« صم بكم عمى فهم لا يعقلون » (١).

هؤلاء :

« ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » (٢).

---

(١) البقرة ١٧١

(٢) البقرة : ٧

ولا يملك أحد لهم من الله شيئا :

« إلا من تاب وأمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما »(١).

ولكن ما هو العمل الصالح الذى يقرنه الله دائما بالايمان :

« وبشر الذين أمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار »(٢).

فقد سألنى زميل أعتز بزمالته فى مكالمة تليفونية : ما هى الصالحات ؟ وكيف يمكن تحديدها أو تعريفها (وهذه مسألة مهمة بالنسبة لرجل قانون على مستوى الزميل العزيز .. مسألة التحديد الدقيق أو التعريف الذى يصف الشىء ويحيط به إحاطة لا تحتمل اللبس أو الخلط أو الإبهام) وأقول للصديق كما أقول للقراء الاعزاء إجابة عن هذا السؤال : إن كل شىء يرضى الله تبارك وتعالى هو عمل صالح .. وكل شىء يغضب الله هو عمل سىء ، هذا هو المعيار وهذا هو المؤشر .. ولنضرب عليه أمثلة : فالذى يتصدق من ماله على اليتيم أو المسكين أو غير المقتدر فهو يعمل عملا يرضى الله وبالتالى فهو يعمل صالحا :

« ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم »(٣).

---

(١) الفرقان : ٧٠ . (٢) البقرة : ٢٥ . (٣) الحديد : ١٨ .

والذى يعين شخصا على قضاء حاجته فهو يعمل عملا يرضى الله تبارك وتعالى ، وبالتالى فهو يعمل صالحا « **إن لله خلقا خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله** » (حديث شريف) وقال - صلى الله عليه سلم - « لأن يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجة أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين » . والذى يكبح جماح غضبه ويكظم غيظه ويعفو عمن أساء إليه فهو يعمل عملا يرضى الله سبحانه ، وبالتالى فهو يعمل صالحا :

« **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** » (١) .

والذى ينأى بنفسه عن عقوق الوالدين والإساءة إليهما بالقول أو بالفعل فهو يعمل عملا يرضى خالقه وهو بالتالى يعمل صالحا :

« **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين إحسانا** » (٢) .

والأم الأرمل أو المطلقة التى تضحى بنفسها من أجل رعاية أبنائها وبناتها درءا للاخطار أو المضايقات التى يمكن أن يتعرضوا لها إذا هى تزوجت رجلا غير أبيهم ، إنما تأتى تضحية تقصد بها وجه الله (حتى وإن لم يكن فى زواجها الثانى هذا حرمة) فهذا عمل صالح يرجى أن تثاب عليه ثوابا عظيما ،

---

(١) آل عمران : ١٣٤ .

(٢) الإسراء : ٢٣ .

والذى يشهد شهادة حق ولا يخشى فى الله لومة لائم ، فهو يعمل عملا يرضى عنه الخالق جل وعلا :

« فلا تخشوا الناس واخشون »(١).

فهو – اذن – يعمل صالحا ، والذى لا يكتم الشهادة خوفا من بطش ، أو طمعا فى زلفى فهو يأتى عملا يرضى الله تباركت آلاؤه ، وبالتالى فهو يعمل صالحا :

« ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم »(٢).

والذى لا يغش الناس ، ولا يأكل حقوقهم ، ولا يبيع لهم بضاعة فاسدة أو غير مطابقة للمواصفات ، أو يرفع أسعارها ليجنى ربحا فاحشا إنما يأتى عملا يرضى الله ويرضى عنه الله ، وبالتالى فهو يعمل صالحا ويأمل فى حسن الثواب من الله :

« يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم »(٣).

والذى يفعل شيئا مما تقدم لا يأتى الله بقلب سليم ، والشخص نفسه يحس فى البداية أنه يأتى عملا لا يرضى الله ، ولكنه حين يوغل فى هذا الطريق فإنه لا يعود يحس بشىء :

« كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون »(٤).

---

(١) المائدة : ٤٤ .
(٢) البقرة : ٢٨٣ .
(٣) الشعراء : ٨٨ – ٨٩ .
(٤) المطففين : ١٤ .

أى أن أفعالهم الخبيثة هذه قد أحاطت بقلوبهم وغلفتها وحالت بينها وبين الإحساس بظلم الناس ، هؤلاء هم شر البرية .. وليت ما كسبوه من هذا الطريق ينفعهم ، بل يضرهم ويكون عليهم حسرات يوم القيامة ثم لا ينصرون ..

والحرفى الذى يمارس صنعته بإجادة وإتقان ولا يغالى فى أتعابه إنما يرضى الله ، وهكذا يعمل صالحا .. والذى يرفض الرشوة - برغم حاجته إلى المال - حتى لا يعطى حقا لغير صاحبه ، أو يسلب أحدا حقه لمصلحة مقدم الرشوة ، فإنما يأتى عملا يرضى به إله الناس ويرضى عنه إله الناس ، وينتظر أن يجزل له رب الناس العطاء الوفير جزاء امتناعه عن الإضرار بالناس لقاء مال أو مقابل عينى أو حظوة أو ما شابه ، فهو يعمل صالحا .. والأب الذى يرعى الله فى أبنائه ويستمر فى رعايتهم والإنفاق عليهم من سعته والاهتمام بهم بعد زواجه من غير أمهم - أيا كانت الأسباب - ويحسن التعامل مع أمهم المطلقة ، فهو يأتى عملا يرضى الله وبالتالى فهو يعمل صالحا .. والذى يمسك عن الزواج من أخرى - برغم مرض زوجته الذى لا يرجى منه برؤ أو بسبب كونها عاقرا - حتى لا يخدش أحاسيسها ولا يسبب لها ألما ، إنما يأتى عملا يرجو به وجه الله - ولسوف يؤتيه الله إن شاء أجرا عظيما - فهو يعمل صالحا .. والذى لا يتأله على الناس بمركزه أو منصبه أو ماله أو عائلته فهو يأتى عملا يرضى الله وهو بالتالى يعمل صالحا .. الاستاذ أو المدرس الذى يشرح لطلابه أو تلامذته بأمانة ، يقصد بذلك وجه

الله فإنه يعمل صالحا .. رئيس العمل الذى يمايز بين مرءوسيه على أساس الاجادة والتفانى فى العمل ، وليس على أساس الواسطة أو الشللية أو خفة الظل أو المنافع الشخصية ، فإنه يرضى الله وبالتالى يعمل صالحا .. الطبيب الذى يكشف على مرضاه بضمير حى ، وينصح لهم ، ويتقى الله فيهم ، فإنه - يقينا - يعمل عملا يرضى الله تبارك وتعالى وبالتالى فهو يعمل صالحا .. المحامى الذى يصدق عملاءه القول ، ولا يتعمد إطالة إجراءات القضية حتى يحصل على أتعاب أكبر ، ولا يظهر لهم القضية على أنها رابحة وهو يعتقد فيما بينه وبين نفسه أنها قضية خاسرة ، الذى يفعل ذلك فهو يرضى مولاه الحق ويعمل صالحا .. الذى يقوم آناء الليل ساجدا وقائما يتهجد ويستغفر الله يرضى بارئه ، وهو بذلك يعمل صالحا .. الذى يفرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا يرضى ربه : « **من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة** » (حديث شريف) وهو هكذا يعمل صالحا .. من رحم فقيرا أو ضعيفا أو مريضا تقربا إلى الله فهو لا شك يعمل صالحا ..

إرضاء الله أبوابه وسبله وفجاجه كثيرة لا حصر لها ولا عد ، والإنسان - كل إنسان - يحس بينه وبين نفسه أن هذا العمل أو هذا القول يرضى الله أو أن ذاك العمل وذاك القول يغضبه .. فينتهى عنه إرضاء لله ، وقد لا ينتهى عنه إرضاء لهواه :

«أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة»(١) .

على أن باب مراجعة النفس مفتوح ، وأن الله :

« يعف عن كثير »(٢) .

وأن الحسنات تمحو السيئات :

« إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » (٣) .

صدقونى أيها القراء الأعزاء والقارئات العزيزات أن رضوان الله أعظم نفعا ، وأحلى مذاقا ، وأكثر بركة مما تجمعون .. ولأن يحس الإنسان أن ربه راض عنه فذاك خير من الدنيا وما فيها .. هذا الرضا يعطى المرء إحساسا بالأمان والاطمئنان والرضا عن نفسه وعن خالقه :

« رضى الله عنهم ورضوا عنه » (٤).

وفى الآخرة جنات النعيم :

« وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم » (٥) .

---

(١) الجاثية : ٢٣ . (٢) الشورى : ٢٤ . (٣) هود : ١١٤ .

(٤) المائدة : ١١٩ . (٥) التوبة : ٧٢ .

وفى الحديث القدسى « إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، يقولون لبيك ربنا وسعديك ، فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ؟ فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك ، قالوا : يا رب ، وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى ، فلا أسخط عليكم بعده أبدا » وذلك تفسير قوله تعالى " ورضوان من الله أكبر " .

صدقونى وجربوا أن يكون رضوان الله قبلتكم التى تتجهون إليها بقلوبكم وأعمالكم وأقوالكم ، واسلكوا فى سبيل الفوز برضاه كل وسيلة متاحة لكم ، وجاهدوا أنفسكم حتى تحققوا هذا الهدف الأعظم الذى يتوارى ويتضاءل كل هدف إلى جانبه .. جربوا وسوف ترون ما يرضيكم فى دنياكم قبل أخراكم ، ولن تندموا اذن أبدا ..

ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون

الله الذى خلق الناس لم يخلقهم عبثا :

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا تُرجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم »(١) .

أى تعالى الله عن العبثية فيما يفعل .. وأنزلهم إلى الأرض ليبتلوا فيها وبها ، ويتم تصنيفهم بمقتضى أعمالهم ، ثم يميتهم ، ثم يحييهم لتجزى كل نفس بما كسبت :

« فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون »(٢) .

فالذين صلحوا لدخول الجنة يدخلونها :

« جناتُ عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »(٣) .

وأما الذى رسب فى الاختبار فلا يصلح لدخول الجنة ، ومثواه جهنم وساءت مصيرا :

« وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد »(٤) .

---

(١) المؤمنون : ١١٥ - ١١٦ .
(٢) آل عمران : ٢٥ .
(٣) الرعد : ٢٣ - ٢٤ .
(٤) البقرة : ٢٠٦ .

وقد اقتضى عدل الله ألا يترك الناس هملا ، بل أعلمهم أنه سيرسل إليهم الرسل للتذكير :

« فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »(١) .

فالذين اهتدوا واتبعوا الرسل زادهم الله هدى :

« ويزيد الله الذين اهتدوا هدى »(٢) .

أما الذين استكبروا وأعرضوا واستهزأوا فلا بشرى لهم :

« وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا . يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين »(٣) .

ويقول لهم الملك الديان يوم القيامة هم وقرناءهم من الجن :

« يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم أياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين »(٤) .

أصحاب الفطرة السوية :

« يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين »(٥) .

---

(١) البقرة : ٣٨ . (٢) مريم : ٧٦ . (٣) الفرقان : ٢١ - ٢٢ .

(٤) الأنعام : ١٣٠ . (٥) آل عمران : ١١٤ .

وأصحاب الفطرة الملتوية ينأون بأنفسهم عن كتاب الله ، وينهون الناس عن التصديق والعمل به :

« وهم ينهــون عنه وينأون عنه وإن يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون »(١).

الإنسان السوى يتقى الله ويعمل صالحا ، إذا أصابته نعمة من الله شكر . وإن مسه الشر صبر ، أما ذو الفطرة المعوجة فـ :

«إذا مسه الشر جزوعا.وإذا مسه الخير منوعا»(٢) .

أى إذا كان فى حال يسر لم يكن للفقراء ولا للمحتاجين نصيب فيما آتاه الله من فضله ، وإن أصابه ضر جزع ولم يصبــر ..

والناس فى كل مكان وزمان أكثرهم لا يؤمنون بالرسل :

« ثم أرسلنا رسلنا تترا كل ما جاء أمة رسـولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون »(٣).

وأرسلنا رسلنا تترا أى متتابعين ، الواحد منهم تلو الآخر .. وعملية الفرز دائرة على مدى الزمان ، والمهتدون أصحاب اليمين :

« ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين »(٤).

والثلة جماعة من الناس ، وخيار المهتدين - وهم السابقون المقربون - أقل فى الزمان الأخير :

---

(١) الأنعام : ٢٦ . (٢) المعارج : ٢٠ - ٢١ .

(٣) المؤمنون : ٤٤ . (٤) الواقعة : ٣٩ - ٤٠ .

« ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين »(١) .

وأما الذين لا يصلحون لدخول الجنة بعد عملية الفرز ، فهؤلاء هم أصحاب الشمال :

« وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . إنهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم »(٢) .

والحنث العظيم هو عدم الإيمان بالله واليوم الآخر .

والله سبحانه لا يريد ظلما للعباد ، ولذلك أرسل الرسل – كما وعد – لأقوامهم مبشرين ومنذرين :

« ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين . وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »(٣) .

ثم ختم رسالاته بمحمد – صلى الله عليه وسلم – للناس أجمعين :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »(٤) .

وترك لهم كتابا منزلا :

---

(١) الواقعة : ١٣ – ١٤ .

(٢) الواقعة : ٤١ – ٤٦ .

(٣) العنكبوت : ١٤ – ١٦ .

(٤) الأنبياء : ١٠٧ .

« وانه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »(١) .

كما ترك لهم سنة رسوله الكريم ، وفى هذا يقول الرسول – صلوات الله عليه وسلامه – " خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتى " فلن يكون لأحد بعد ذلك حجة إذا تنكب طريق الهدى وأوغل فى طريق الضلال :

« قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل »(٢) .

ولن يُقبل من أحد اعتذار يوم القيامة :

« قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد . قال لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد . ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد . يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد »(٣) .

وهذا هو ما يجب أن يتيقنه كل منا .. الاعتذار غير مقبول ، فالمولد قد انفض ، وأفضى كل إلى ما قدم من عمل صالح أو سيء :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »(٤) .

---

(١) فصلت : ٤١ – ٤٢ .
(٢) يونس : ١٠٨ .
(٣) ق : ٢٧ – ٣٠ .
(٤) الزلزلة : ٧ – ٨ .

والسعيد هو الذى دخل الجنة خالدا فى نعيمها ، والشقى هو الذى دخل جهنم ولا عزاء له ..

يا قوم اعتبروا :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون »(١) .

« ولا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون »(٢) .

ففى ذكر الله نجاتكم .. ولا تتبعوا خطوات الشيطان :

« إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا »(٣) .

تذكروا دائما أنكم ها هنا ضمن عملية الفرز التى تستمر إلى نهاية أعماركم .. فإذا أثبتم أنكم صالحون لدخول الجنة أدخلكم الله إياها :

« وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد . هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ . من خشى الرحمٰن بالغيب وجاء بقلب منيب . ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود . لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد »(٤) .

وإن تبين من عملية الفرز والتصنيف أن ناسا لا يصلحون لدخول الجنة فسيدخلون النار راغمين .. فانما هى أعمالكم التى تحدد مصائركم :

---

(١) الحشر : ١٨ .
(٢) المنافقون : ٩ .
(٣) الإسراء : ٥٣ .
(٤) ق : ٣١–٣٥ .

« ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون »(١).

وأنا لا أتمنى لأحد منكم أيها القراءالأعزاء والقارئات العزيزات ، لا أتمنى لأحد منكم أن يكون مصيره النار وأن يبتلى بحرها ولهيبها ، وسلاسلها وأغلالها ، فذلك ما لا طاقة لكم به .. فسارعوا وقدموا لأنفسكم .. تكون الجنة لكم جزاء ومصيرا :

« ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا »(٢).

والسعى للآخرة لا يتطلب أبدا أن تزهدوا فى الدنيا أو أن تنصرفوا عنها ، بل أن تعملوا للدنيا كأنكم تعيشون فيها أبدا ، وأن تعملوا للآخرة كأنكم تفارقون الدنيا غدا .. فخذوا نصيبكم من الدنيا ، واسعوا فى نفس الوقت سعيكم الجاد الحثيث للآخرة حتى تفوزوا بكليهما : الدنيا والآخرة .. فهل أنتم فاعلون ؟! .

---

(١) يس : ٥٤ .

(٢) الإسراء ١٩ .

إن الله يأمر بالعدل والإحسان

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون »(١).

هذه الآية الكريمة يقرؤها الأئمة فى نهاية خطبة الجمعة وقبل إقامة الصلاة مباشرة ، وقد خطر لى أنها تحتوى على معان كلية ، ربما لا ترد تفاصيلها على الذهن عند سماعها ، وقد يفيد التوقف عند كل أمر فيها برهة وجيزة ، فى محاولة للإلمام ببعض التفاصيل على النحو التالى :

* العدل : العدل هو الإنصاف ، وهو عكس الظلم والجور ، والله يأمرنا بأن نعدل .. الحاكم يقيم العدل بين الرعية ، القاضى يحكم بين المتقاضين بالعدل :

« وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا »(٢).

الوالد يعدل بين أبنائه ، فلا يميز واحدا منهم على الآخرين ، لأنه إذا لم يعدل فسوف يزرع ذلك الشقاق بين الأبناء ، رئيس العمل يعدل بين مرءوسيه ، فلا يحابى واحدا منهم دون الآخرين ، أن نعدل حتى مع خصومنا :

---

(١) النحل: ٩٠.

(٢) النساء: ٥٨.

« ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون »(١).

* الإحسان : الإحسان هو أداء الشيء على خير وجه ، أن يتعامل الإنسان مع الناس بشرف وذمة :

« وأحسن كما أحسن الله إليك »(٢).

وأن يقول لهم قولا كريما :

« وقولوا للناس حسنا »(٣).

أن يتقن الإنسان صنعته إن كان صانعا .. المحسن هو الإنسان الفاضل بمعنى الكلمة ، يعزف عن الصغائر ، ويكون عونا للآخرين إذا دعت الحاجة ، يغيث الملهوف ، وينتصر للحق ، وينفق من ماله وجهده في وجوه الخير ، وهكذا ..

« إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »(٤).

وفي سورة الرحمن نقرأ قوله تعالى :

« هل جزاء الإحسان إلا الإحسان »(٥).

فالله تبارك وتعالى يخبرنا في صيغة الاستفهام التقريري بأن من أحسن في الدنيا سوف يجازى بالإحسان في الآخرة وهو

---

(١) المائدة : ٨ . (٢) القصص : ٧٧ . (٣) البقرة : ٨٣ .

(٤) النحل : ١٢٨ . (٥) الرحمن : ٦٠ .

دخول الجنة أى الحسنى ، والحسنى هو اللفظ الذى ورد فى الآية الكريمة :

« للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون »(١).

ويقول رسول الله – صلوات الله عليه وسلامه – " **إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون وما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟ قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم** " ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة : أى لا تغشى وجوههم كآبة ولا مذلة .

* إيتاء ذى القربى : وصى الله القادرين بذوى قرباهم خيرا ، حيث أمرهم بالإنفاق عليهم :

« فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون » (٢).

---

(١) يونس : ٢٦ .

(٢) الزمر : ٣٨ .

ولعل التوصية على ذوى القربى - قبل غيرهم - أن كل واحد أدرى بذوى قرباه الفقراء ، ومدى حاجتهم إلى العون المادى ، وأكرم له ولهم ألا يمدوا أيديهم لغيره ، ثم إن سد حاجتهم عن طيب خاطر يحل المودة محل التباغض والتحاسد بين الأقارب . وليت من عندهم مال يزيد عن حاجتهم أن ينفقوا منه فى وجوه البر :

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير »(١) .

* **الفحشاء** : الفحشاء والفاحشة من كبائر الإثم ، وقد وصف الله فى كتابه العزيز الذين أحسنوا بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش :

« ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى . الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم »(٢) .

واللمم هو صغائر الذنوب ، والهفوات .. وهذه يتجاوز الله عنها ، والزنا من الفواحش :

«ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا»(٣) .

---

(١) الحديد ٧ .

(٢) النجم : ٣١-٣٢ .

(٣) الإسراء : ٣٢ .

والشيطان يزين للإنسان ارتكاب الفاحشة :

« ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين . إنما يأمركم بالسوء والفحشاء »(١).

أى لا تسيروا على درب الشيطان ، فهو لا يأمر الإنسان بخير ، بل يغريه بكل سيء من الأقوال والأفعال والتصرفات .

* المنكر : المنكر هو كل قول أو فعل تنكره الطبائع السوية ، وينهى عنه الشرع ، من الأقوال :

« وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا »(٢).

وكذلك الأفعال :

« كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون »(٣).

والمنكر عكس المعروف ، وهو الشيء المستحسن :

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (٤).

وقد روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ " **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير** " ثم قال : " **الخير اتباع القرآن وسنتى** " وفى سورة الأعراف ورد لفظ العرف بمعنى المعروف :

---

(١) البقرة : ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) المجادلة : ٢ .

(٣) المائدة : ٧٩ .

(٤) آل عمران : ١٠٤ .

«خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»(١) .

وخذ العفو أى أعف عن من أساء إليك ، وأمر بالعرف أى مُرْ بالمعروف ، وهو كل ما يرضى عنه الله عز وجل من السلوكيات الحميدة الفاضلة ، وأعرض عن الجاهلين أى لا تشغل نفسك بسفاهات الجهال ، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر :

« وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »(٢) .

* البغى : البغى هو ظلم الناس والافتئات عليهم والازدراء بهم وبالعامية نقول " شخص مفترى (وإن كان هذا المعنى يخالف المعنى اللغوى للكلمة)

« إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم »(٣) .

أى اعتدى عليهم وازدرى بهم غرورا واستعلاء .. والآية الكريمة :

« وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون »(٤) .

---

(١) الأعراف : ١٩٩ .

(٢) العنكبوت : ٤٥ .

(٣) القصص : ٧٦ .

(٤) يونس : ٢٢ - ٢٣ .

أى أن تعديكم على خلق الله وإلحاق الأذى بهم يرتد إليكم وسيحاسبكم عليه الله حين ترجعون إليه بعد أن يواجهكم بما ارتكبتموه ، فالله لا يغفل عن شيء ولا ينسى :

« لا يضل ربى ولا ينسى »(١) .

وفى سورة المجادلة تأكيد لهذا المعنى :

« يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد »(٢) .

وعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : **" ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته فى الدنيا مع ما يدخر لصاحبه فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم "**

---

(١) طه : ٥٢ .

(٢) المجادلة : ٦ .

من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه

شاءت حكمة الله الا يقهر أحدا من خلقه على الإيمان به ، ولو شاء غير ذلك لفعل :

«ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا »(١) .

ولكن عدل الله اقتضى أن يبصرهم ويحذرهم :

« ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة »(٢) .

والله ينكر على الكافرين كفرهم :

« كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون »(٣) .

ومنهم من لا يتفكرون ولا يتراجعون عن باطلهم ، بل يظلون عليه عاكفين إلى أن يأتيهم ملك الموت الذى وكل بهم فلا يستطيعون له ردا ولا دفعا ولا تحويلا :

« حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون »(٤) .

ثم يوم القيامة حينما يذوقون العذاب وتتقطع بهم الأسباب يجأرون :

« قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل »(٥) .

---

(١) يونس ٩٩ . (٢) الأنفال : ٤٢ . (٣) البقرة : ٢٨ .

(٤) الأنعام ٦١ . (٥) غافر ١١ .

ونكاد نجد تطابقا بين ما حذرهم الله منه - وهم بعد أحياء يرزقون فى الدنيا - وما قالوه هم أنفسهم بعد أن قضى الأمر :

« وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون » (١).

ولكنهم لم يستجيبوا للنذير ، بل كانوا يرددون ساخرين مستهزئين :

« أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون . أو آباؤنا الأولون . قل نعم وأنتم داخرون » (٢).

وانتم داخرون اى راغمون .. وكانوا يوهمون انفسهم - وهم فى الدنيا - بأن الموت هو النهاية ولا شيء بعده :

« وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » (٣).

والإنسان يرثى لحال من ينكر ربه أو من يعتبره خصما له .. وهو الذى خلقه من ماء مهين ، وجعله نطفة فى قرار مكين :

« خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين » (٤).

لِمَ الخصومة مع الله ؟! سؤال محير .. ولم يجحد الإنسان ربه ؟! سؤال لا أجد إجابة عنه .. ولا أعتقد ان الذى ينكر وجود الله يوقن فعلا بأنه لا موجد لهذا الكون :

---

(١) مريم : ٣٩ .
(٢) الصافات : ١٦ - ١٨ .
(٣) الأنعام : ٢٩ .
(٤) النحل : ٤ .

« فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين . وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا »(١).

هل أوجد الإنسان نفسه ؟! :

« أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون »(٢).

وما بال السموات والأرض ؟ هلْ هى الطبيعة كما يقولون ؟! وهل الطبيعة خالقة أم مخلوقة ؟! :

« أم خلقوا السمٰوات والأرض بل لا يوقنون »(٣).

وبعض الناس لا يؤمنون بالغيبيات ولا يعترفون إلا بما تشاهده أعينهم أو يلمسونه بأيديهم !! فى حين أن هناك كائنات حية لا نراها بأعيننا ولا نلمسها بأيدينا مثل الميكروبات والفيروسات لدقة حجمها ، ولكننا نحس بأثرها فى أجسادنا حينما تنتابنا الأمراض والعلل ! وهناك فى الفضاء البعيد نجوم ومجرات لا نراها بأعيننا لبعدها السحيق عنا ، ولكنها موجودة فى السماء ، ترصدها المَرَاصد .. بل لقد اكتشف العلماء أخيرا مجموعات جديدة من النجوم والمجرات من خلال مرصد هابل الذى يدور فى الفضاء حول الأرض ، ولم تكتشفها أكبر المراصد الأرضية بعدساتها الضخمة بتأثير طبقة الغلاف الجوى الذى يحد من الرؤية ..

---

(١) النمل : ١٤ .

(٢) الطور : ٣٥ .

(٣) الطور : ٣٦ .

ومنهم من يريدون أن يخضعوا كل شيء للعقل وحده مع أن العقل طاقته محدودة ، وقدرته على استيعاب ما وراء الطبيعة أكثر محدودية ، حتى أن العقل لا يستطيع أن يحدد بدقة : ما هو العقل ؟! وهناك مقولة ضاحكة يرددها بعض علماء النفس وهى أن " تحليل العقل لا يخضع للعقل " !! فما بالك برب العالمين خالق كل شيء نراه وما لا نراه .. نحسه وما لا نحسه .. فالذين يريدون أن يخضعوا رب العالمين للعقل ليس لديهم عقل ..!! ان العقل هبة من الله للإنسان لكى يصرف به شئون حياته ، لا أن يحكم به على خالقه .. وكيف أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، أى أنه لا نظير له ولا شبيه ولا مثيل .. أعطانا الله العقل لكى نتفكر فى خلق السماوات والأرض وفى أنفسنا وما خلق الله من شيء ، وما فى الكون من تناسق وإحكام لكى نستدل على أن لكل ذلك موجدا واحدا هو الله الذى لا إله غيره .. أما أن نستخدم العقل المحدود لكى نحيط بالله سبحانه وكيف هو ، فهذا ليس مجال العقل ، ولا طاقة له به ..

والغريب أنه بعد تقدم العلم وتطور الفكر على مدى العصور، مازالت مواقف الرافضين المعاندين هى هى منذ الزمن الأول .. ولم يأت أحد بدليل ولا ببرهان يدحض وجود الله العزيز القهار ، بل كل الدلائل والشواهد تبرهن على وجوده ووحدانيته ، والإنسان ليتساءل : هل هذه الخصومة التى يبادرون الله بها لها عائد بالنسبة لهم ؟! يقول المولى عز وجل :

« أفبهذا الحديث أنتم مدهنون . وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون » (١).

أى هل لديكم شك فى أن القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على رسوله ؟! أم انكم تسترزقون من وراء هذا التكذيب ؟! وما اتعسه من رزق - سواء تمثل فى مال أو منصب أو منفعة مادية - ذلك الذى ينتهى بالجحيم :

« وأما إن كان من المكذبين الضالين . فنزل من حميم . وتصلية جحيم »(٢).

إن تحدى الخالق جل وعلا خسران مبين وخزى يوم الدين وعذاب مهين :

« ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوهم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق »(٣).

فلِمَ يفعل الإنسان - أى إنسان - ذلك بنفسه ؟! ومن الذى يحميه من عذاب يوم القيامة إذا أتى الله بالخاطئة ؟! هل أخلاؤه فى الدنيا يستطيعون ؟! هيهات .. إنهم يبغضون بعضهم البعض ويتلاومون :

« الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين »(٤).

---

(١) الواقعة : ٨١-٨٢.

(٢) الواقعة : ٩٢-٩٤.

(٣) الأنفال : ٥٠.

(٤) الزخرف : ٦٧.

ولو انصف المعاندون المكابرون أنفسهم لراجعوا مواقفهم ولأختاروا النجاة بأنفسهم من مصير حالك السواد :

«ذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا . إن لدينا أنكالا وجحيما . وطعاما ذا غصة وعذابا أليما»(١) .

والأنكال هى القيود والأغلال .. ولا ينبغى لأحد منهم أن يتصور أن تكذيبه ينقص من ملك الله شيئا ، وإقرأوا إن شئتم قول الله تبارك وتعالى :

« وما محمدٌ إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين »(٢) .

وخلت من قبله الرسل أى بعث الله رسلا قبله إلى أقوامهم .. وتريثوا عند عبارة : " **ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا** " ..

ومن هؤلاء من يصور له الوهم أو الغرور ، والأرجح أنه الاثنان معا ، أنه بمقدوره الكيد لله ، ورب العزة غير غافل عما يعملون :

« إنهم يكيدون كيدا . وأكيد كيدا . فمهل الكافرين أمهلهم رويدا »(٣) .

---

(١) المزمل : ١١-١٣ .

(٢) آل عمران : ١٤٤ .

(٣) الطارق : ١٥-١٧ .

وهم لن يعجزوا الله :

« ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون » (١).

أى لا يحسبون انهم سيفلتون :

« وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار » (٢).

والله لا يرضى لعباده الكفر :

« إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم » (٣).

وأخيرا أرجو مخلصا من كل قلبى لكل من ينكر وجود الله سبحانه وتعالى أن يراجع نفسه ، وأن يدقق فى المراجعة ، فالمسألة جد ولا هزل فيها :

« إنه لقول فصل وما هو بالهزل » (٤).

ومن يدرى فلعل نور الإيمان أن يداخل قلبه .. أما إذا أصر أحد على إنكار الذات الالهية وطابت نفسه بذلك ، فهذا شأنه وذلك اختياره .. وأورد هنا قول المولى عز وجل لخاتم رسله وأنبيائه :

« قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل. فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل » (٥).

---

(١) الأنفال : ٥٩ . (٢) الزمر : ٨ . (٣) الزمر : ٧ .

(٤) الطارق : ١٣ : ١٤ . (٥) يونس : ١٠٨ .

هو الله

* يحب أن يُسأل ويحب أن يجيب :

« وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » (١) .

* يحب أن يستغفره عباده ويحب أن يغفر لهم :

« استغفروا ربكم إنه كان غفارا » (٢) .

* يحب من عباده أن يذكروه فيذكرهم :

« فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون » (٣) .

* إذا أراد شيئا فإنه يقول له (قبل أن يوجد) كن فيكون ..

« إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » (٤) .

* لا يعجل على عباده الظالمين أو العاصين ، وإنما يفتح لهم باب التوبة ولا يغلقه حتى نهاية أعمارهم .. ولكن التوبة لا تقبل والإنسان فى سكرات الموت :

« وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما » (٥) .

---

(١) البقرة : ١٨٦ . (٢) نوح : ١٠ .

(٣) البقرة : ١٥٢ . (٤) النحل : ٤٠ .

(٥) النساء : ١٨ .

* خلق الله السماوات والأرض :

« الله الذى خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار » (١) .

وذلك ليبلونا أينا أحسن عملا :

« وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا » (٢) .

* وأرسل الرسل إلى أقوامهم مبشرين ومنذرين :

« رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما » (٣) .

وكانت رسالاتهم ذات مضمون واحد :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (٤) .

وختمت الرسالات السماوية بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فكانت رسالته للناس كافة :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . قل إنما يوحى الى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون » (٥) .

---

(١) إبراهيم ٣٢ - ٣٣ .　(٢) هود ٧ .　(٣) النساء : ١٦٥ .

(٤) الأنبياء ٢٥ .　(٥) الأنبياء ١٠٧ - ١٠٨ .

* ولم يخلق رب العالمين السماوات والأرض عبثا أو لعباً :

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين . لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين » (١) .

كما قال سبحانه :

« وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية » (٢) .

* وكلفنا رب السموات والأرض بتكليفات بعضها شعائر وعبادات :

« ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » (٣) .

وبعضها سلوكيات مثل : [لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه] حديث شريف .وغير ذلك كثير فى القرآن الكريم والسنة الشريفة .. هذه التكليفات بشقيها هى لاختبار الإيمان : مداه ومصداقيته .. فلابد للإيمان أن يختبر بالافعال .. يقول صلوات الله عليه وسلامه " الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل " وكذلك بالابتلاء بالشر والخير :

« ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » (٤) .

---

(١) الأنبياء ·١٦ – ١٧ .

(٢) الحجر : ٨٥ .

(٣) الحج : ٣٢ .

(٤) الأنبياء : ٣٥.

وذلك لأن دخول الجنة والخلود فى نعيمها ليس بالأمر الذى يحصل عليه الإنسان دون أن يختبر ويفتن ويبتلى :

« الٓمٓ . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين »(١).

لابد من الاختبار إذن .. وهذا هو سبب وجودنا المؤقت على كوكب الأرض لأجل محدود ، ولا يعرف أى منا متى يحل أجله .. فهذا حجب عنا كى يتصرف كل منا على طبيعته .. فينسى البعض أن إقامته محدودة فيفترى (بالمعنى الدارج) ويتذكر البعض فيجتهدون فى فعل الخيرات ، وهذا هو الاختبار الصحيح السليم .

* من الناس من صدق وآمن وعمل الصالحات ، ومنهم من كذب وتولى :

« ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد »(٢).

* يوم تقوم الساعة يعترى الذين ظلموا ذهول ووجوم وحسرة :

« ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون »(٣).

وانظروا إلى هذه الآيات وتمعنوا فيها :

---

(١) العنكبوت : ١-٣ .

(٢) التغابن.٦ .

(٣) الروم ١٢ .

« ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون »(١).

وذلك بعد أن يكونوا قد تسلموا صحائف أعمالهم :

« فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابية . إنى ظننت أنى ملاق حسابية . فهو فى عيشة راضية . فى جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية . وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابية . ولم أدر ما حسابية - يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانية . خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم ها هنا حميم . ولا طعام إلا من غسلين . لا يأكله إلا الخاطئون »(٢).

حاول أيها القارئ العزيز (والقارئة العزيزة) أن تتصور نفسك وقد دخلت الجنة تستمتع بكل ما فيها ولا حرج عليك .. وبكل ما يجول بخاطرك وتتمناه :

---

(١) الروم : ١٤ - ١٦ .

(٢) الحاقة : ١٩ - ٢٧.

« لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا »(١).

وتصور معى فكرة الخلود فى الجنة !! أن تظل تتمتع إلى ما لا نهاية .. شىء لا يكاد الذهن أن يستوعبه .. لا أكدار ولا أحزان ، لا أمراض ولا آلام ، لا واجبات ولا عمل .. استمتاع متصل فى ديمومة .. ولا موت .. إنما هى الموتة الأولى التى انتهت بها إقامتنا المحدودة على وجه الأرض ، ثم إقامة أبدية فى جنة الخلد :

« ان المتقين فى مقام أمين . فى جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين . كذلك وزوجناهم بحور عين . يدعون فيها بكل فاكهة آمنين . لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم . فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم »(٢).

ألا يستحق ذلك أن تبذل وسعك للظفر به ؟! ألا يستحق أن تراجع سلوكياتك وتصلح ما اعوج منها وتبادر بالتوبة والاستغفار ؟ وتلزم نفسك بما يرضى الله من عبادات ، ومن تقديم الخير والعون للناس ما استطعت ، وتكف أذاك عنهم ؟! .

فى الدنيا نعرف ان لكل بداية نهاية ، ولكن فى الآخرة توجد بداية ولا توجد نهاية .. يظل الحال على ما هو عليه .. من دخل الجنة لا يخرج منها ولا تنتهى حياته يوما ما .. كذلك الحال

---

(١) الفرقان ١٦ .

(٢) الدخان ٥١-٥٧ .

بالنسبة للكافرين من أهل النار .. بينما الدنيا لها نهاية ، لأنها معبر إلى الآخرة فقط .. نمر بها لكى نختبر ، ثم نغادرها إلى دار القرار .. الجنة أو النار .

أما الذين شقوا بدخول النار خالدين فيها - والعياذ بالله - فهؤلاء لا عزاء لهم .. أقصى أمانيهم إما أن يحكم عليهم بالفناء كى يستريحوا من العذاب ، أو يخفف عنهم العذاب ولو يوما .. أرأيت إلى هذه الأمانى البائسة اليائسة ؟! ومع هذا فلا يستجاب لهم :

« ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون » (١) .

أى " انتو قاعدين " ! ، كما لا يخفف عنهم :

« وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب . قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » (٢) .

ويتطلعون إلى شربة ماء أو أى طعام يمدهم به أهل الجنة :

« ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين » (٣) .

---

(١) الزخرف : ٧٧ .

(٢) غافر : ٤٩ - ٥٠ .

(٣) الاعراف ٥٠ .

هذا الاختبار الذى نتعرض له فى الدنيا لا يوجد له ملحق ولا توجد له إعادة .. هو اختبار لمرة واحدة ، من رسب فيه فقد خسر خسرانا مبينا مهينا ..

« قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . قال اخسئوا فيها ولا تكلمون . إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون . إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون »(١).

وينعى عليهم رب العزة انقيادهم للشيطان :

« ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم . ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون . هذه جهنم التى كنتم توعدون . اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون »(٢).

نعود إلى أصحاب الجنة فى تقلبهم فى النعيم لدرجة أنه يظهر اثره على وجوههم :

---

(١) المؤمنون : ١٠٦ - ١١١

(٢) يس : ٦٠ - ٦٤

« **إن الأبرار لفى نعـيم . على الأرائك ينظرون . تعرف فى وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون** »(١).

أى ليكن الظفر بهذا النعيم هو مجال التنافس ، وليس على حطام الدنيا ومتاعها القليل الزائل - حتى إن بدا فى نظرهم كثير - فهو لا شيء بالقياس إلى نعيم الجنة ، فعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : يقول الله عز وجل « **أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** » . مصداق ذلك فى كتاب الله :

« **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** »(٢).

هل وضحت الصورة بما فيه الكفاية ؟! لعل كلا منا يحاول أن ينتهز « فرصة عمره » « بحق وحقيق » فهذا التعبير يستخدم فى أشياء أحيانا ما تكون تافهة جدا حتى إننا نسمعها من المعلقين على مباريات الكرة حين يفشل أحد اللاعبين فى إيداع الكرة داخل المرمى بقولهم " ضيع فرصة عمره " ! .. فرصة العمر هى دخول الجنة ولا شيء غيره .. لأن البديل الوحيد هو

---

(١) المطففين : ٢٢-٢٦ .

(٢) السجدة : ١٧ .

دخول النار .. أما أمور الدنيا : " فمقدور عليها " لأننا غير باقين فيها إلا بمقدار أعمارنا المحدودة ..

« كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زُحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور »(١).

---

(١) آل عمران ١٨٥ .

المحتــوى

مطابع الأهرام بكورنيش النيل

ترقبوا...

فى العدد القادم

الإسلام دين الإنسانية

للدكتور
محمد البهى

من سلسة دراسات اسلامية

يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

الثمن ٥٠ قرشاً